



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة عبد الحميد بن باديس - مستغانم
كلية الأدب العربي والفنون
قسم الدراسات اللغوية و الأدبية



الدرس الصوتي العربي بين التأصيل والتأسيس

– دراسة مقارنة بين "ابن جني" و"إبراهيم أنيس" –.

مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة العربية وآدابها
تخصص: لسانيات عربية

إشراف الأستاذة:

بن العاتبة مختارية
كلية الآداب العربي والفنون
جامعة مستغانم

إعداد الطالبتين:

1. بن مانه نسيمه
2. بوشباط شميمه

السنة الجامعية: 2023/2022

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شكر و عرفان

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، الحمد لله الذي خلق الإنسان وعلمه البيان، والصلاة والسلام على من أوفى جوامع الكلام وحسن البيان، وصل آله وصحبه ومن تتبعه بإحسان إلى يوم الدين، نحمدك ونشرك على فضلك ونعمتك يا رب العالمين. إن من اعتمد على نفسه ظلّ، ومن اعتمد على الناس ملّ، ومن اعتمد على عقله اختلّ، ومن اعتمد على الله فلا ظل ولا مل ولا اختل. وفي هذا المقام نتقدّم بجزيل الشكر للأستاذة الفاضلة "بن عابد مختارية"، صاحبة الفضل الأول والأخير في توجيهنا بنصائحها القيمة وآرائها السديدة وإفادتها لنا بالمعرفة، أدامها الله لنا ووفقها وسدّد خطاها وجعلها قدوة وخيرا للجامعة، كما أشكر جميع الأساتذة ورئيس القسم وأيضا كل إطارات القسم وعمال المكتبة، إلى كل صاحب فضل علينا سواء من قريب أو من بعيد.

إهداء

الحمد لله رب العالمين على نعمة العقل والدين، وفطرنا على حب المعرفة واليقين، وصلى الله على سيدنا محمد أزكى الصلاة وأفضل التسليم.

أما بعد:

أهدي هذا العمل إلى بر الأمان ومنبع الحنان إلى من عظم مكانتها الإسلام، فنالت شرف الذكر في القرآن إلى من وضعت تحت قدميها الجنان، إلى من زرعت بسمتي ومسحت دمعتي، من يعجز عن وصفها اللسان: "أمي الغالية كحلالة منصورية".

دون أن أنسى الرجل الذي لطالما كان فخرا وسندا لي، وقام بتكريس حياته من أجل أن يراني في هذا المقام والدي العزيز "بن مانه تواتي".

ولا تكتمل فرحتي إلا بإخوتي وأخواتي الذين كانوا شمعة دربي هذه السنة وكانوا يدي اليمنى ومصدر قوتي، وتحفيزي "محمد فؤاد"، "عبد الكريم"، "نور الهدى"، "سلسبيل".

وإلى صديقتي الوفية التي كانت معي في هذا المسار خطوة بخطوة وشاركت معي كل هذه اللحظات "بوشباط شميصة".

نسيمة

إهداء

الحمد لله على التوفيق وعونه أما بعد:

أهدي ثمرة على هذا العمل المتواضع إلى أعلى ما عندي في الوجود، وبالقرب
دائما إلى الشمعة التي أنارت طريقي، إلى الصدر الذي حماني ومنحني الحنان،
إلى رمز الصبر ومبعث الكفاح إلى قرّة عيني "أمي الغالية".

إلى القريب من قلبي، رمز المثابرة والعطاء إل من يكل أنفاسه ليمنحني نفسا
أعين به، ووقائي مصاعب الدرب، حفظه الله وجعله في خير ونعيم، إلى أجمل
هدية ومنها الرحمن "أبي الغالي".

أدامهما الله وافر الصحة وأطال في عمرهما.

إلى أخواتي: "زهيرة"، "حنان"، "مروة".

وإلى أخي الوحيد: "عبد الوهاب".

إلى أعز صديقاتي الوفيات "نسيمة"، "عائشة"، "زهية"، "فاطمة".

فقد اختلقت دموع فرحتي بتخرجي وحزني بوداع أحبتي في غمضة عين مرت
أياما وها نحن اليوم نجني قطافنا، ونودع أحبتنا والمكان الذي ضمنا هذه
السنة الحياة بالأمس التقينا واليوم افترقنا ولكن فرحنا بتخرجنا نسينا ألمنا.

شميسة

مقدمة

لقد خلق الله الإنسان وميّزه بالبيان، وجعل اللسان أداة للنطق، والأذن أداة للسمع، والعقل أداة للفهم، والروح أداة للتأثير والتأثر.

يمثل الكلام من أكثر الأساليب انتشاراً في عملية التواصل بين الناس، وهو أحد الخصائص الأساسية التي تميز الإنسان عن بقية المخلوقات، والمقصود من الكلام هو اللغة، وخاصة اللغة العربية التي تعتبر من أشرف اللغات وأنبهها، بما نزل القرآن الكريم كلام المولى عزّ وجلّ لهداية الناس أجمعين، ومنه اختلطت الألسنة مما أدى إلى شيوع اللحن والتحريف، في الأداء الصحيح للغة العامة والقرآن الكريم خاصة، فقام اللغويون لوضع ضوابط تحمي وتحفظ هذه اللغة الشريفة من الزيغ والزلل، وتعد الدراسة الصوتية من أهم العلوم اللغوية لأنها ارتبطت ارتباطاً مباشراً بتلاوة القرآن الكريم، وفهم كلماته وأسلوبه ومعانيه وما يتضمن من أحكام دينية ودنيوية فإذا ما رجعنا إلى الأبحاث الصوتية عند العرب القدامى وجدنا عندهم مادة صوتية غزيرة، تعد هذه الدراسات عملاً محكماً في ذلك الزمان الذي لم يكن تتوفر فيه ابسط الوسائل التقنية، ولكن اعتمدوا على التجريب والدقة والملاحظة، وقد توالى دراسة اللغة من جانبها الصوتي تطوّراً مدهشاً أدى إلى ظهور علم كامل مستقل بنوعه، وقد كان "أبو الفتح عثمان بن جني" أول من خصّص للدراسة الصوتية مؤلفاً مستقلاً بعد أن كانت القضايا الصوتية تدرس مختلطة بغيرها من القضايا اللغوية الأخرى، وقد خصص "ابن جني" العديد من المصطلحات الصوتية التي تشمل جميع مصطلحات هذا العلم من صفات ومخارج وأعضاء... وغيرها، متطرقاً في ذلك وسيلة إيضاح لم يسبق إليها من قبل، إذ شبّه جهاز النطق بألة الناي، ومجرى النفس بالمزمار، وهذا نجده في صنيعة القيم (سر صناعة الإعراب).

ومن كنوز هذا العصر نجد "إبراهيم أنيس" في كتابه (الأصوات اللغوية) الذي يدرس فيه الأصوات العربية دراسة صوتية تحليلية وصفية، وأشار إلى جميع جوانب هذا المجال وعالجها معالجة في غاية الدقة؛ إذ تمكن من قولبة الدراسات الغربية الحديثة ووضعها في أوعية عربية، ساهمت بشكل كبير في إثراء الدرس الصوتي العربي الحديث.

وهذا ما قادنا إلى طرح الإشكالية التالية: ما هي جهود علماء العرب القدامى والمحدثين في الدرس الصوتي؟ وفيما تمثلت مباحثه عند كل من "ابن جني" و"إبراهيم أنيس"؟

وقد اقتضت هذه الدراسة المزج بين المنهج الوصفي التحليلي الذي اعتمدناه في الفصلين الأول والثاني من خلال طرح القضايا الصوتية عند كل منهما، واعتمدنا المنهج المقارن في المبحث الثالث الذي يقوم على مقابلة المباحث والآراء الصوتية لكل من "ابن جنّي" و"إبراهيم أنيس" لكشف ما بينهما من وجه شبه واختلاف.

أما عن أسباب اختيارنا لهذا الموضوع فتعود إلى أن "ابن جنّي" من أبرز علماء الدراسات اللغوية العربية الذين درسوا اللغة العربية الكريمة بإخلاص، حيث عالج الجانب الصوتي منها بدقة فاقت قدرة الأجهزة الحديثة في كتابه (سر صناعة الإعراب) الذي يعدّ أول مؤلّف مستقل في علم الأصوات في العالم العربي القديم. وأن "إبراهيم أنيس" من اللغويين المعاصرين الذين جمعوا بين التفكير العربي والغربي في مجال الدراسة الصوتية الحديثة باعتباره أول مؤلّف في علم الأصوات في العالم العربي المعاصر، فرأينا أن هذه أبرز نقطة يلتقي فيها كل منهما، فكانت موضوع هذا البحث الموسوم بـ: "الدرس الصوتي العربي بين التأصيل والتأسيس - دراسة مقارنة بين ابن جنّي وإبراهيم أنيس".

وكما أن هناك أسباب جعلتنا نختار هذا الموضوع ونقوم بإنجازه، فهناك أيضا أهداف يرجى من خلاله تحقيقها، منها:

- حاجة المكتبة العربية إلى التحدث عن موضوع الدرس الصوتي العربي بين التأصيل والتأسيس، وتقديم الفائدة العلمية للطلبة والقراء .

- بيان أهمية المدونتين (سر صناعة الإعراب) و(الأصوات اللغوية) كمصادر أساسية للدراسة الصوتية.

- بيان أهمية التفكير الصوتي ونضجه عند العلماء العرب القدامى وخاصة عند "ابن جنّي"، وكذا تطوّره عند المحدثين.

هذا، وفيما يخصّ الدراسات السابقة التي عالجت هذا الموضوع من الناحية الصوتية عند "ابن جنّي" و"إبراهيم أنيس" فهي كثيرة ومتعددة الأوجه بتعدد الدارسين، ووجهات نظرهم، نذكر منها:

- "إبراهيم أنيس" والدرس اللغوي: بحث من إصدارات مجمع اللغة بالقاهرة، وهو عبارة عن ندوة عقدت بقاعة الاجتماعات الكبرى بالمجمع الرابع من شهر ديسمبر سنة 1999.

- ملامح الصوتيات التركيبية عند ابن جني" في اللغة، الآثار المخطوطة والمفقودة: وهو بحث في مجلة كلية اللغة العربية وآدابها بجامعة أم القرى بالمملكة العربية السعودية قدمه الأستاذ المساعد "غنيمة غانم الينعاوي" سنة 1999.

وأما بالنسبة لهيكل البحث فكان كالتالي: مقدمة، ويليهما فصلين هما:

الفصل الأول: المعنون بالدرس الصوتي العربي، وتناولنا فيه المباحث التالية:

المبحث الأول: نشأة الدرس الصوتي العربي.

المبحث الثاني: الدرس الصوتي عند العرب القدامى.

المبحث الثالث: الدرس الصوتي عند العرب المحدثين.

الفصل الثاني: عنوانه بالمباحث الصوتية عند "ابن جني" و"إبراهيم أنيس"، يتضمن المباحث الآتية:

المبحث الأول: المباحث الصوتية عند "ابن جني".

المبحث الثاني: المباحث الصوتية عند "إبراهيم أنيس".

المبحث الثالث: المقارنة بين المباحث الصوتية عند "ابن جني" و"إبراهيم أنيس".

ثم خاتمة جاءت مجملة لأهم النتائج التي أفضت إليها هذه الدراسة.

ونحن في طريقنا في بحر العلم والمعرفة في إنشاء هذه المذكرة لم نواجه أية صعوبات أو عراقيل في جمع هذه المادة، وقد استعنا بمجموعة من المذكرات والرسائل التي تخدم بحثنا، من أبرزها:

• عمار إلياس البواصلة، الفكر اللغوي عند إبراهيم أنيس، رسالة ماجستير في اللغويات، قسم اللغة العربية، إشراف: يحيى عباينة، جامعة مؤنة، السعودية، 2029م

• عليان بن محمد الحازمي، الأصوات العربية بين الخليل وسيبويه، بحوث كلية اللغة العربية، العدد 02، جامعة أم القرى، السعودية 1404هـ/1405هـ

وفي الختام نحمد الله الذي يسر لنا طريق العلم، وفتح لنا من ينابيعه التي لا تجفّ، وهدانا لنسلك طريقا من طرق الجنة، سلكه العلماء وفرقة الأنبياء، والصلاة والسلام على أفضل خلق الله محمد خاتم النبيين وعلى آله وصحبه أجمعين إلى يوم الدين. ولا يفوتنا في هذا المقام أن نتقدم بعبارات الشكر والتقدير والعرفان للأستاذة المشرفة على رحابة صدرها ومجهوداتها وتوجيهاتها لنا، راجينا من المولى عز وجل أن يجعلها في ميزان حسناتها، وأن نكون قد وُفّقنا في تناول هذا الموضوع وما التوفيق إلا بالله العليّ القدير.

الفصل الأول: الدرس الصوتي العربي.

- المبحث الأول: نشأة الدرس الصوتي.
- المبحث الثاني: الدرس الصوتي عند العرب القدامى.
- المبحث الثالث: الدرس الصوتي عند العرب المحدثين.

لابد لنا من تأصيل نشأة الدراسة الصوتية قبل البدء بالحديث عنها عند العرب، ذلك لوجود أمم سابقة لهم في هذا المجال، حيث يعدّ الهنود أسبق الأمم في مجال الدراسات اللغوية عامة والدراسات الصوتية خاصة، وقد وصلت أعمالهم إلى عصرنا هذا، ليأتي بعدهم اليونانيون الذين صبغوا هذه الدراسات بصبغتهم الخاصة وأحدثوا فيها الجديد، ثم الدراسات الإغريقية التي ساهمت في هذا المجال، أما العرب فقلع أول ما وصل إلينا من دراساتهم اللغوية عامة والصوتية منها خاصة ما جاء على يد العالم العربي المسلم "الخليل ابن أحمد الفراهيدي" (ت 175هـ) في معجمه (العين) الذي يعد مرجعا صوتيا مهماً للدارسين، وما نقله عنه تلميذه النابغة "سيبويه" (ت 180هـ) في مؤلفه (الكتاب)¹ من جهود صوتية لا تزال محط إعجاب العلماء عربا وغربيين لدقة الوصف، وشمولها واتساعها، وأيضا ما كتبه "ابن جني" (ت 392هـ) في كتابه (سر صناعة الإعراب) و(الخصائص) من معلومات صوتية مهمة جدا، و"ابن سينا" (ت 428هـ) في رسالته المسماة (أسباب حدوث الحروف)... إلى غير ذلك من الدراسات في هذا المجال.

ولم تخرج الدراسات الصوتية الحديثة عما ذكره "الخليل" و"سيبويه" و"ابن جني" إلا شيئا قليلا جدا بفضل اعتمادها على الأجهزة الدقيقة والمعامل الصوتية التي لم تكن متوفرة علمائنا الأجلاء قبل ألف عام وأكثر، أما المحدثين العرب الذين درسوا في الخارج فنقلوا جهود الغربيين موازنة مع ما درسه العرب القدامى، وبيّنوا أن ما في الدراسات اللغوية الغربية وخاصة منها الصوتية لم تخرج عما قاله القدامى، واذكر على سبيل المثال "إبراهيم أنيس" في كتابه (الأصوات اللغوية) و"محمود السعران" في كتابه (علم اللغة) إذ خصص قسما خاصا بالأصوات، وما كتبه "عبد الصبور شاهين" و"أحمد مختار" و"محمود فهمي الحجازي" و"رمضان عبد التواب" وغيرهم، وقد حاول الحاقدون على العروبة والإسلام إسناد جهود العرب القدامى إلى الهنود أو اليونان من غير أن يقدموا دليلا واحدا، لكن انتهى بعضهم أخيرا إلى أنه جهد عربي متميز².

¹ ينظر: الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، تحقيق: المخزومي وإبراهيم السامرائي، مكتبة الهلال، بغداد، 1988م، ص 57/1-58.

² علي حسين مزيان، علم الأصوات بين القدماء والمحدثين، دار النشر شموع، ليبيا، ط 01، 2003، ص 14-13.

المبحث الأول: نشأة الدرس الصوتي.

1- عند الهنود:

أولوا الظاهرة اللغوية عناية فائقة لاسيما في جانبها الصوتي (Phonétique)، فيتعبر الهنود من أولى الأمم التي وصفت الأصوات اللغوية وصفا دقيقا من ناحية النطق في تاريخ الإنسانية، فقاموا بدراسة معمقة ودقيقة للغة السنسكريتية وهي اللغة الهندية التي تعد أصل اللغة الهندية الحديثة، وقد تطورت هذه اللغة عن لهجة هندية منقرضة، وترتبط ارتباطا وثيقا باللغات الفيديّة لغة الكتب المقدسة الهندية، قبل أن تتطور إلى مجموعة من اللغات الهندية الحديثة، من الناحيتين الصوتية والنحوية، وتمثلت هذه الجهود وتجلت خاصة لدى الباحث "بانيني Panini" الذي يعد أبا الدرس الصوتي في العالم منذ حوالي أربعة آلاف سنة، من خلال جهوده ودراسات الصوتية المبنية على اللغات الهندية أم لغات بشرية أخرى حتى شبه سيبويه به فيما بعد.

وقد إهتم الباحثون الأوروبيون في القرن التاسع عشر اهتماما كبيرا بجهود العلماء الهنود في البحث اللغوي، ووجدوا عند الهنود كثيرا من الحقائق اللغوية الغير معروفة في المؤلفات الأوروبية، ولقد جاءت دراسة الهنود للغتهم على درجة فائقة من التنظيم والدقة، ففحصوا وظائف أعضاء النطق، واهتموا بالأداء النطقي السليم للكتاب المقدس (الفيدا Vida)¹، فإذا كان (الفيدا) عند الهنود هو الدراسة اللغوية بتلك الدقة من الإتقان فإن قراءة القرآن هي التي جعلت علماء العربية القدامى يتأملون أصوات اللغة، وقد بدأ "جورج مونان" تعجبه ودهشته من هذه الجهود الهندية في المجال الصوتي خاصة، ومما يدهشنا في القواعد الهندية أنها قامت بالتحليل اللغوي الثاني، وكان الهنود يعانون عناية قصوى باستبقاء اللفظ الصحيح للعبارات الدينية، مما أدى بهم إلى تدوين أول وصف للأصوات اللغة من ناحية نطقها وعلى قدر كبير من الإتقان.

ثم الأصوات الأنفية ولعل هذا الترتيب كما سيأتي بيانه ما نجده عند "الخليل بن أحمد الفراهيدي" و"سيبويه"، وهو الترتيب الذي سار عليه المؤلفون العرب من بعد، وكان الهنود سبق في استعمال إشارات تحدد نطق الأصوات، إذ جعلوها ملازمة للمقطع (Syllabe) من الكلمة بحيث يمكن للقارئ أن يقرأها بدقة

¹ عيسى واضح حميداني، في الصوتيات الفيزيولوجية والفيزائية دار الرواد، مكتبة المجمع العربي للنشر والتوزيع، تيارت، الجزائر، ط 01، 1435هـ-2014م، ص 19.

ووضوح، ليس هذا فحسب، بل صنفوا الحروف الصحيحة والحروف المعتلة في النطق كما جاء في كتاب "بانيني"، وميزوا بين الحروف اللهوية والغنية، وهو ما حدا ببعض الباحثين أوربيين خاصة أن يشك في أصالة علم الأصوات عند العرب، وأنهم مقلدون للعالم "بانيني"، قال "مونان" في ذلك: « منذ القرن الثامن ميلادي كان علماء اللغة في البصرة يسعون إلى وصف لغتهم وصفا صوتيا، وسواء أكان قد أوجدوا تلقائيا علما للأصوات جديرا بأن يذكرنا بالعلامة "بانيني" أم أنهم اقتبسوا هذا العلم عنه، فتلك مشكلة على حده، ولكن لا بد لنا بادئ ذي بدء أن نعترف بوجود هذا العلم في الأصوات وأنه علم ممتاز...»¹، وليس معنى ذلك أن "جورج مونان" ينفي جملة وتفصيلا الجهود العربية في الدراسات الصوتية، رغم أنه أقضى من مؤلفه، تاريخ علم اللغة ونشأتها حتى القرن العشرين، الحقبة الزمنية للحضارة العربية الإسلامية، إلا أنه يعترف ضمنا بهذه الإسهامات (الهنود واليونانيون ثم العرب وخاصة الأول منهم تمكنوا من وضع قواعد مثيرة للتحليل الصوتي والتي ظلت مهمة منذ ألفي سنة...)².

إن الحصيلة المعرفية التي توصل إليها الهنود في الدراسات³ اللغوية وخاصة الصوتيات منها تدعوا إلى الإعجاب والتتويح، وقد ذكر مؤرخوا الحضارة الهندية أن "الإسكندر" حيث فتح الهند واستقر فيها دهش ومن كان معه من العلماء حيث رأوا تقدم الهنود في أمثال هذه الدراسات التي تعني باللغة ودلالاتها وأبحاثهم في تطور الدرس اللغوي الحديث.

2- عند اليونان:

لقد اهتم اليونانيون في الحضارة الإغريقية بالشيء ذاته، فدرسوا لغتهم دراسة صوتية ويذكر بالإغريق فضلهم في استحداث حروف المد مستفيدين في ذلك من البحوث اللغوية التي سبقتهم، وبنوا عليها دراساتهم حتى تبلورت إلى نظريات جديدة حول الظاهرة اللغوية، وأولى اليونانيون في الحضارة الإغريقية عناية للشيء ذاته، فدرسوا لغتهم دراسة صوتية وصفية حول الظاهرة اللغوية، فاهتم الفلاسفة والمفكرين اليونانيون بهذه الظاهرة وخصوصا بالتحليل والدراسة على نحو ما نجده عند "أفلاطون"، و"أرسطو" والمدرسة الرواقية، فبدا واضحا

¹ عيسى واضح حميداني، المرجع السابق، ص 21.

² المرجع نفسه، ص 21

أن التفكير اللغوي ارتبط بشكل واضح بالجانب الفلسفي اليوناني، وقد نجد لذلك مبرراً مقنعاً، « والحقيقة أنه لا يمكن تبرير البحث اللغوي من الصيغة الفلسفية، ولذلك فلامناص من تناول المشكلات اللغوية من زاوية الفلسفة...»¹.

إن الذي يدعم هذه الفكرة التي نحن بصددنا هو الاتفاق الملاحظ بين "الدكتور أحمد مختار عمر"، و"الدكتور محمود السعران" حينما تناولا بالشرح والتحليل (الدراسة اللغوية عند اليونان)²، يقول "أرسطو 322-384 ق.م" «الحرف صوت لا يتجزأ وهو صوت معين ومن طبيعته في تركيب صوت معقد، ذلك لأن الحيوان أيضا يصدر أصواتا لا تتجزأ، ولكن لا أطلق عليها اسم الحروف، وتتألف الأبجدية من حروف صائتة، ومتوسطة، وصامتة. والحرف الصائت هو الذي يملك صوتا مسموعا دون حركة في اللسان، أو تقارب في الشفتين، والحرف المتوسط هو الذي يملك صوتا مسموعا بفضل هذا التقارب في اللسان والشفتين (...) والحرف الصامت لا يملك أي صوت...»³.

وذهب العديد من الباحثين العرب المهتمين بالدراسات اللغوية على أن البداية الحقيقية للدراسات اللغوية اليونانية كانت منذ زمن "أوريبيدس Euripide" (406-480 ق م) الذي ميز بين حروف العلة والحروف الصحيحة، إضافة إلى "أفلاطون" (322-384 ق م) فقد عرض من خلال حوارهِ الذي سماه "كراتيل Cratyle" مبادئ التحليل الصوتي لوحدة التقطيع الثاني، ولا عجب إذ أن هذا الحوار بين "هرموجين" و"قراطيل" (وهما من تلامذة سقراط)، طغت عليه النزعة الفلسفية حول نشأة اللغة وبنيتها كما ذهب إلى ذلك "جورج مونان"، وقد أقرّ بعض الدارسين المحدثين هذه الفكرة غير أن دراسة الإغريق دراسة للغتهم كما يزعم "جورج مونان"، كانت تتركز على بنية اللغة ونشأتها، لم تكن هذه الدراسة مهمة بتطور اللغة وتنوعها، ومما يذكر الإغريق فضلهم استحداث حروف المد.

3- عند الرومان:

¹ عيسى واضح حميداني، المرجع السابق، ص 22.

² المرجع نفسه، ص 23.

³ المرجع نفسه، ص 23.

لقد تبنت الحضارة الرومانية الحقائق اللغوية التي وصلت إليها الحضارة الإغريقية، ولا عجب فقد تتلمذ الرومان على يد اليونان، فنقلوا علوم اللغة اليونانية إلى غيرهم من الأمم، فتعلموا اللغة اليونانية ونقلوا الكثير من آدابها، ورغم ذلك فقد ساهمت الحضارة الرومانية ولو بقسط قليل في تطوير الدراسات اللغوية وخاصة ما تعلق بالجانبين الدلالي والبلاغي.

كان اليونانيون مقلدين لما سبقهم فجاءت دراستهم اللغوية استقصاء نشأة اللغة كما فعل اليونانيون من قبل، ومن أشهر نحاتهم "قارون varron" الذي عاش في القرن قبل الميلاد، وبرع في صناعة النحو "بريسين priseien" الذي عاش في القرن السادس قبل الميلاد، صاحب كتاب (اللغة).

إضافة إلى كل ما تقدم لا يمكن في هذا المجال أن نفل الدراسات القيمة والنافعة التي اطلعت بها الحضارات الشرقية القديمة كاليابان والصين، لكنه من المؤسف أن هذه الدراسات التي تناولت ذلك نادرة، إن لم نقل منعدمة، حتى يتسنى للباحث الإطلاع عليها واكتشاف خصائصها وحقائقها حول الظاهرة اللغوية، إذا ومن خلال ما سبق فقد ظهر الاهتمام بعلم الأصوات في رحاب نزعة القواعد المقارنة سنة 1660 في نحو (بوروايال Port-Royal) فهي دراسة تتخذ من المنطق منهجا لها من خلال أدواته ومصطلحاته.

وهذا النحو يستند بشكل واضح على أعمال "دنيس تراس de Denis thrace" الذي عاش في القرن الثاني قبل الميلاد، و"دنيس اليكرناس" كاتبان ينتميان إلى الحضارة الإغريقية الرومانية والذان ألفا العديد من البحوث المتقدمة في النحو ومبادئ الخطاب...¹.

ثم كان لعلماء الرومان جهد معتبرا في الدراسات اللغوية الخاصة ما تعلق منها النحو، وإليهم يرجع الفضل في وضع الكتب المدرسية التي بقيت صالحة إلى حدود القرن السابع عشر بما فيه من النحو اللاتيني، وبلغت العلوم اللغوية من النضج والثراء مبلغا كبيرا في العصر الوسيط مع المدرسة السكرلائية، والتي احتدم فيها الصراع حول طبيعة العلاقة بين الكلمات ومدلولاتها، وفي حدود القرن التاسع عشر تشبعت الدراسات اللغوية، فلزم ذلك تخصص البحث في جانب معين من اللغة، فظهرت النظريات اللسانية وتعددت المناهج فبرزت الفونولوجيا التي اهتمت بدراسة وظائف الأصوات إلى جانب علم الفونيتيك الذي

¹ عيسى واضح حميداني، المرجع السابق، ص 24.

يهتم بدراسة الأصوات المجردة، كما برزت الإثيمولوجيا التي اعتنت بدراسة الاشتقاقات في اللغة ثم علم الأبجدية والتراكيب الذي يختص بدراسة الجانب النحوي ورابطة بالجانب الدلالي في بناء الجملة.

وفي الجانب الآخر من العالم كان المفكرون العرب قد خصّصوا البحوث اللغوية حيزا واسعا في إنتاجهم موسوعي الذي يظم إلى جانب العلوم النظرية كالمنطق والفلسفة علوما لغوية قد مست كل جوانب الفكر عندهم، سواء تعلق الأمر بالعلوم الشرعية كالفقه والحديث، أو العلوم العربية، كالنحو والصرف والبلاغة بل إنهم كانوا يعدون علوم العربية نفسها وتعلمها من المفاتيح الضرورية للتبخر في العلوم الشرعية.

ولذلك تأثرت العلوم اللغوية بعلوم الدين لتوجيهاتها، وقد تفاعلت الدراسات الغوية مع الدراسات الفقهية، وبني اللغويون أحكامهم على أصول دراسة القرآن والحديث والقراءات، وقالوا في أمور اللغة بالسمع والقياس والإجماع والاستطلاع تماما كما فعل الفقهاء في مصالحه أمور الدين¹.

ولما كانت علوم الدين تهدف إلى استنباط الأحكام الفقهية، ووضع القواعد الأصولية للفقه، اهتم العلماء بدلالة الألفاظ والتراكيب وتوسعوا في فهم معاني نصوص القرآن والحديث، واحتاج ذلك منهم إلى وضع أسس نظرية، فيها من مبادئ الفلسفة والمنطق ما يدل على تأثر العرب بالمفاهيم اليونانية ولذلك يؤكد "عادل الفاخوري" أنه: ليس من مبالغة في القول إن الفكر العربي استطاع أن يتحول في مرحلته المتأخرة إلى وضع نظرية مستقلة وشاملة يمكن اعتبارها أكمل النظريات التي سبق الأبحاث المعاصرة².

4- عند العرب:

ارتبط الدرس الصوتي العربي بالقرآن الكريم، فهو كتاب مقدس يحتاج إلى السنة مهنية مهذبة على نطق اللغة العربية نطقا سليما، فعن "أبي الدرداء رضي الله عنه" قال: « سمع النبي صلى الله عليه و سلم رجلا يلحن في كلامه فقال: أرشدوا أخاكم³»

¹ ينظر: ريمون طحان، فنون التعميد وعلوم الأسنسية، دار الكتب، لبنان، ط 01، 1983م، ص 26.

² عادل الفاخوري، علم الدلالة عند العرب، دار الطليعة، بيروت، ط 01، 1985م، ص 05.

³ النيسابوري، ابو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم، المستدرك على الصحيحين، تح: مصطفى عبد

القادر عطاء، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 02، 1422هـ- 2002 م، ص 477/2.

إننا لا نعرف كتاباً شاملاً لجوانب الدراسة والبحث في علم العربية إلا كتاب "سيبويه"، و نستثنى من ذلك (معجم العين) للخليل، ولكن "سيبويه" ليس هو السبّاق إلى دراسة اللغة العربية في مستوياتها المعروفة فمؤلفه يمثل حصيلة أعمال الدارسين الأوائل من القراء والفقهاء والباحثين واللغويين، ولذلك لا نستغرب كثافة المادة الصوتية عند "سيبويه" ونضج الدراسة الصوتية، وفيها مادة ومفاهيم ومصطلحات¹، عندما نقرأ في الكتب أن نشأة الدراسات اللغوية العربية كانت بسبب انتشار وشيوع ظاهرة اللحن بعد توسع رقعة الأمة الإسلامية، فإن كثير منا ربما فهم من اللحن الوقوع في تلك الأخطاء المتصلة بأواخر الكلمات، وربما كانت الأخطاء اللغوية التي شاعت على السنة الموالي وأصاب عدواها السنة بعض العرب، لم تكن مقصورة على هذا النوع من أنواع الأخطاء، فأكبر الظن أن هذا الذي سموه لحناً كان يصدق على أخطاء صوتية كالذي يشير إليه في اللغة العربية الفصحى التي هي لغة الضاد لكن معظم الدارسين يقولون بأن اللحن كان نحويًا وقد أقر المستشرق الألماني "براجشتراسر أن الهنود والعرب سبقوا الغرب في الدراسات الصوتية يقول هذا المستشرق « وأول من وضع أصول العلم من العرب "الخليل بن أحمد" المتوفى سنة 177هـ أو سنة 180هـ" وقد كان علم الأصوات في بدايته جزءاً من أجزاء النحو، ثم استعاره أهل الأدباء والمقرونون وازدادوا فيه تفصيلات كثيرة مأخوذة من القرآن الكريم»².

فبداية الدرس الصوتي مرتبطة بالقرآن الكريم ارتباطاً مباشراً، وتنسب أول محاولة في الدراسات الصوتية إلى "أبي الأسود الدؤلي" (ت 69هـ) الذي وضع رموزاً تقي من الوقوع في أخطاء نطقية أثناء قراءة القرآن الكريم، فيروى أن سمع قارئاً يقرأ (إن الله بريء من المشركين ورسوله) بكسر لام رسوله، فاستدعى كاتباً وقال له: « إذا رأيتني قد فتحت فمي بالحرف فأنقط نقطة فوقه على أعلاه، وإن ضمنت فمي فأنقط نقطة بين يدي الحرف، وإن كسرت فاجعل

¹ عبد الفتاح ابراهيم، مدخل إلى الصوتيات، دار الجنوب لنشر، تونس، دت، ص 14.

² برجشتراسر، التطور النحوي للغة العربية، تح: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 04،

1423هـ- 2003م، ص 11.

نقطة من تحت الحرف، وإن مكنت الكلمة بالتونين فاجعل أمانة ذلك نقطتين»¹، فهذا العمل قد يبدو بسيطاً إذا نظرنا إليه من منظور زماننا، لكل عظيم إذا انطلقنا من ذلك الزمن حيث كانت الحياة بسيطة، فليس من السهل أن ينتبه شخص إلى فكرة لضبط النطق الصحيح للكلم آنذاك، وعند تأمل كلام "أبي الأسود الدؤلي" نفهم أنه لم يركز على أواخر الكلم في وضع نقاط الإعراب فكلامه عام، (إذا رأيتني قد فتحت فمي بحرف بأنقط نقطة إلى أعلاه...) ركز "الأسود الدؤلي" على حركة الشفتين وهو جانب فيزيولوجي عضوي تعتمد الصوتيات الحديثة، لأنه وصف مباشر قائم على الملاحظة والمشاهدة وتلك النقاط التي وضعها إنما من أجل الحفاظ على النطق السليم للقرآن الكريم.²

تمثل هذه المرحلة بعض الأعمال الرائدة منها نقط الإعراب ونقط الإعجام، وقد كان المخترع الأول لنقط الإعراب هو "أبو الأسود الدؤلي" (ت 69هـ) وتتخلص الطريقة التي اختارها إعراب القرآن في وضع نقط على أحرفه بلون يخالف مداد المصحف، وقد وضع في البداية ثلاث علامات لثلاث حركات هي نقطة فوق الحرف دلالة على الفتح، ونقطة إلى جانب الحرف للضممة أما الكسرة فقد دلت عليها نقطة أسفل الحرف، وجعل للتونين نقطتين متجاورتين أي أعلى الحرف وما نتجه من قول "أبا الأسود الدؤلي" لكتابه الذي اختاره من أفصح القبائل العربية وهي قبيلة (عبد القيس)، خذ المصحف وصبغها بخالف لون المداد "فإذا فتحت شفتي فانقط واحدة فوق الحرف، وإذا ضممتها فانقط بين يدي الحرف، وإذا كسرتها فاجعل النقطة في أسفله فإذا اتبعت شيئاً من هذه الحركات عنه فانقط نقطتين»³. إن الملاحظة لأعضاء النطق هي أن الأساس الذي قام عليه "أبي الأسود" المرتكز على الصوت.

تلت هذه الخطوة الأولى لنقط الإعراب التي سبق إليها "أبو الأسود" غيره خطوة ثانية تم من خلالها التمييز بين الأحرف المتشابهة في الرسم أطلق عليها مصطلح (نقط الإعجام) التي عزاها بعضهم إلى "يحيى بن يعمر" الذي قد يكون

¹ القفاطين جمال الدين ابو حسن علي بن يوسف، إنباه الرواة على أنباه النحا، تح: محمد الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، 1406هـ-1986م، ص 46/1.

² ينظر: عبد الفتاح المصري، الصوتيات عند ابن جني في ضوء الدراسات اللغوية العربية المعاصرة، مجلة التراث العربي، اتحاد كتاب العرب، دمشق 1404هـ-1984م، ص 135.

³ الداني، المحكم في نقط المصحف، تح: حسن عزة دمشق، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ط 02، 1418هـ-1997م، ص 04.

شارك نصر في هذا الاختراع، إذا اتفق العلماء أن "نصر بن عاصم الليثي" كان له الدور الأكبر والأبرز في عملية التنقيط الحروف، و قد قام بتنقيط الحروف بمساعدة "يحيى بن يعمر العدواني" في عهد الخليفة الأموي "عبد المالك بن مروان"، كما قام بترتيب الحروف الهجائية بطريقة الشائعة في يومنا هذا، وأهمل ترتيب الحروف الهجائية على الطريقة القديمة (أبجد هوز) وقد أجرى "الخليل بن أحمد" على نقط أبو الأسود تعديلات: إذا جعل الضمة واوا صغيرة تكتب فوق الحرف والفتحة ألفا صغيرة مبطوحة فوق الحرف والكسرة ياء صغيرة تكتب تحت الحرف فهذه الحركات القصيرة الثلاثة مأخوذة من صور حروف المد الثلاث ثم جعل للشدة علامة رأس الشين وللسكوت علامة رأس الخاء وعلامة للمد وعلامة للروم والإشمام، وقد زاد على هذه العلامات من التحسين ما جعلها على حالتها التي نراها عليها¹.

المبحث الثاني: الدرس الصوتي عند العرب القدامى.

شهدت الدراسات الصوتية عند العرب القدامى تطوراً لافتاً للنظر على الرغم من اعتمادهم في ذلك على وسائل بدائية والتجربة الشخصية في التعرف إلى مخارج الأصوات وصفاتها، ومع ذلك فقد حققوا إنجازات مذهلة في هذا الصدد تضاهي ما توصل إليه الباحثون المعاصرون في الغرب، حيث تناولوا الأصوات اللغوية « من مبدأ صحيح، وهو دراستها دراسة وصفية واقعية قائمة على الملاحظة الذاتية وبعيدة عن الافتراض والتأويل »²، وقد كانت تلك الدراسات الصوتية على غرار الدراسات اللغوية الأخرى مرتبطة بالقرآن الكريم خدمة له وحفاظاً عليه من اللحن والتحريف، وقد برز في هذا المجال نخبة من العلماء المسلمين القدامى الأفاضل، الذين اجتهدوا في تأسيس هذا العلم ووضعوا قواعده وأصوله ونالوا بذلك قصب السبق بما حققوه في هذا المضمار، على أن الأصوات العربية عندهم لم تحظ بمعالجة منفردة خاصة، بل كانت معالجتهم لهذا ضمن قضايا لغوية أخرى، فلم يكن البحث الصوتي مستقلاً بذاته منذ نشأته الأولى بل « كان في بدايته جزءاً من أجزاء النحو، ثم استعاره أهل الأداء والمقرئون وزادوا فيه تفصيلات كثيرة مأخوذة من القرآن الكريم »³، وأطلقوا عليه اسم « تجويد القرآن أو علم التجويد »⁴.

¹ الداني، المحكم في نقط المصحف، المرجع السابق، ص 06.

² عبده الراجحي، فقه اللغة في الكتب العربية، دار النشر المؤلف، دت، ص 131.

³ براجشتراسر، المرجع السابق، ص 11.

⁴ محمد مبارك، فقه اللغة وخصائص العربية، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دت، ص 43.

فلقد بنى العرب القدامى دراستهم الصوتية على القراءات القرآنية، ما جعل النتائج المتوصل إليها أقرب إلى المنهج العلمي، لأنه « من الحقائق المقررة أن الدرس الصوتي عند العرب من أجلّ الجوانب التي تناولوا فيها دراسة اللغة، ومن أقربها إلى المنهج العلمي، ذلك أن أساس هذا الدرس مبني على القراءات القرآنية، وهو علم وإن كان متأخرا من حيث الوضع النظري عن بقية العلوم العربية الأخرى كالنحو، فإنه أسبق منها من حيث الواقع العلمي»¹.

ولأن هذه الصفحات لا تسع لكل ما كتب في البحث الصوتي العربي القديم، فسنكتفي بالإشارة إلى أهم ما أنجزه أبرز كل علماء البحث الصوتي العربي القديم من بينهم "الخليل بن أحمد الفراهيدي" (100-175هـ)، فالمتمأمل في كتابه معجم (العين) يدرك أنه من أهم المصنفات في الدراسات الصوتية، حيث يقول "إبراهيم أنيس" عن هذا العالم الجليل: « كان عالما من أعلام اللغة، ضرب بسهم وافر في نواح عدة من الدراسات اللغوية، فهو كما يقولون مسؤول عن أول معجم عربي (العين) وهو واضع علم العروض وأوزان الشعر، وهو المؤلف في الموسيقى وصاحب الأبحاث المستفيضة التي جاءت في كتاب "سيبويه" »²، ولقد ارتبط اسم "الخليل بن أحمد الفراهيدي" بمجال العروض إلا أن المتابعة الدقيقة لمؤلفاته تكشف عن عمق حسه اللساني، فقد كانت أفكاره «وتعليقاته وابتكاراته نبراسا وهديا لعلماء اللغة والنحو والصرف والعروض والعلوم اللسانية بصفة عامة»³.

فعلى المستوى الصوتي عرف "الخليل" « قيمة الدراسات الصوتية وصلتها باللغة، فرتب الحروف الهجائية على نحو صوتي من الحلق والضم إلى الشفتين، وبين مواطن إخراج الحروف من حلقية وشجرية وأسنانية ونطعية وذلقية وشفوية، ولقد حدد مخرج كل حرف على وجه دقيق، ثم بين صفاتها وخصائصها وهو عمل لا ينهج له إلا المتخصص والباحث الذي يرجو من وراء بحثه ثمرة في دراسة اللغة»⁴، ويمكن اختصار أهم ما جاء في مقدمة العين في النقاط التالية⁵:

- ترتيب الحروف صوتيا من أقصى الحلق إلى الشفتين.

- تصنيف الراء واللام والنون بالحروف الذلاقة لأنها تخرج من نلق اللسان، وأضاف "الخليل" الحروف الشفوية الفاء والباء والميم الحروف الذلاقة.

¹ عبده الراجحي، فقه اللغة في الكتب العربية، دار النهضة العربية، بيروت، ط 01، دبت، ص 129.

² إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط 04، 1971م، ص 111.

³ عبد الغفار حامد هلال، علم اللغة بين القديم والحديث، مكتبة وهبة، ط 01، 2002م، ص 34.

⁴ عبد الغفار حامد هلال، المرجع السابق، ص 32، 33.

⁵ ينظر: الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، المصدر السابق، ص 47/1-52.

- الإشارة إلى أن حروف الذلاقة أسهل من غيرها في النطق، ولذا فهي تكثر في أبنية الكلام ولا يخلوا بناء رباعي أو خماسي منها أو من بعضها، وإن وجدت كلمة تخلوا من حروف الذلاقة فهي محدثة ومبدعة وغير عربية الأصل.

- تصنيف مخارج الحروف على النحو التالي: العين والحاء، الهاء، الخاء، الغين حروف حلقيّة، القاف والكاف حرفان لهويان، الجيم والشين والضاد: حروف شجرية الصاد والسين والزاي حروف أسلية، الطاء والذال والتاء حروف نطعية، الظاء والذال والثاء، حروف لثوية، الراء واللام والنون حروف ذلقية، الفاء والباء والميم، حروف شفوية، الياء والواو والألف والهمزة حروف هوائية، في موضع آخر قال: « وأما الهمزة فمخرجها من أقصى الحلق مهتوتة ومضغوطة »¹، إذن صنف الخليل الأصوات بحسب المكان الذي يتم فيه التحكم في الهواء الخارج من الرئتين، فلقد حصرها في ثمانية مخارج.

إن دراسات "الخليل" وملاحظاته عن الأصوات تمثل « المرحلة الأولى لتكوين علم الأصوات، حيث أنها تحتوي على آراء دقيقة على قلة الملاحظة والاستقصاء، فأراء "الخليل" وملاحظاته كانت المنطلق الذي استوحى منه علماء القرون اللاحقة وضع المصطلحات الدقيقة لوصف الأصوات، فزادوا وشرحوا وفسروا وتداركوا ما فات على "الخليل" »².

ومن بين العلماء العرب القدامى الذين تركوا بصمتهم في الدرس الصوتي بعد "الخليل" تلميذه "سيبويه" (ت180هـ) الذي تحدث عن عدة أصوات عربية وأحساها بأنها تسعة وعشرون، فيقول في باب الإدغام: « هذا باب عدد الحروف العربية ومخارجها ومهموسها ومجهورها وأحوال مجهورها ومهموسها واختلافها، فأصل حروف العربية تسعة وعشرون حرفاً »³. وما يمكن قوله عن هذا العالم الجليل في هذا المجال نلخصه في ما يلي:

- ذكر "سيبويه" الحروف العربية ستة عشرًا مخرجًا وهي تفصيل لما ذكره "الخليل".

- عمد إلى الوصف عند تحديد المخرج عن المصطلح، لأن الوصف يمكنه من تعيين مخرج الصوت بدقة فائقة، أما المصطلح حين تسند له هذه المهمة فلن يستطيع تحقيقها بالشكل الذي يؤديه الوصف، مهما بلغت دقته وقوته التعبيرية.

¹ المصدر نفسه، ص 57/1-58.

² عليان بن محمد الحازمي، الأصوات العربية بين الخليل وسيبويه، بحوث كلية اللغة العربية، العدد 02، جامعة أم القرى، السعودية- 1404-1405هـ، ص 353.

³ سيبويه، الكتاب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط 03، 1988م، ص 141.

- لوحظ على سيبويه الوصف الدقيق العلمي لمخارج الحروف، فلا يكتفي بالوصف المقتضي مثل "الخليل" في قوله لهوية أو شجرية، وإنما يحاول أن يبين لنا الأعضاء التي تشترك في تكوين الصوت، فعلى سبيل المثال يقول، « ومن أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى مخرج القاف»¹.

- خالف "سيبويه" أستاذه مخالفاً جوهرية في ترتيب مخارج الحروف؛ إذ رتب الحروف على النحو التالي: « الهمزة والألف والهاء والعين والحاء والغين والحاء والكاف والقاف والضاد والجيم والشين والياء واللام والراء والنون والطاء والذال والتاء والصاد والزاي والسين والظاء والذال والثاء والفاء والباء والميم والواو »².

هذا ومن العلماء أيضاً الذين تحدثوا عن الدرس الصوتي العربي وساروا في بحر العلم الطبيب والفيلسوف "ابن سينا" الذي ألف رسالة عنوانها (أسباب حدوث الحرف) تعرض فيها إلى قضايا جوهرية تتعلق بالجانب الفيزيولوجي والفيزيائي للأصوات، وذلك لاستعانتة بعلم التشريح، فتميزت أبحاثه بمصطلحات لم يذكرها من سبقه من اللغويين والنحاة، وكان حديثه أشبه بحديث علماء وظائف الأعضاء³، حيث نجده « يتميز بوصفه التفصيلي المعتمد على تحديد ما يلحق الأعضاء المشاركة في النطق من تعديلات »⁴.

وقد تناول طبيعة الصوت وتوصل إلى ما انتهى إليه المحدثون من علماء الأصوات وهو أن العملية الصوتية تتضمن عناصر ثلاثة هي:

- وجود جسم في حالة تذبذب.
- وجود وسط تنتقل فيه الذبذبة الصادرة عن الجسم المتذبذب.
- وجود جسم يستقبل هذه الذبذبات.

بدأ "ابن سينا" رسالته بكيفية حدوث الصوت عامة على « خلاف سابقه الذين لم يبحثوا عن حدوث الصوت والحروف بشكل عام كما عالجها هو...، فلهذا هو أول عالم بحث عن كلية الصوت، الصوت الإنساني أو الصوت الطبيعي والحيواني، ثم دخل في طريقة حدوث الحروف، إن الشيخ بين لنا عملية حدوث الصوت خطوة بعد خطوة، وخلال هذا يأتي بتعريف الحرف وهو في هذا الفصل كعالم طبيعي يشرح فيزياء الصوت، خلافاً للقدماء "كسيبويه" و"ابن جني" الذين

¹ سيبويه الكتاب، المرجع السابق، ج 4، ص 433.

² سيبويه الكتاب، المرجع السابق، ج 4 ص 431.

³ ينظر: هشام خالدي، صناعة المصطلح الصوتي في اللسان العربي الحديث، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط 01، 2012، ص 188.

⁴ أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب مع دراسة لقضية التأثير والتأثر، دار النشر عالم الكتب، القاهرة، ط 06، 1988م، ص 103.

بدؤوا كلامهم بمخارج الحروف، يعني دخلوا في الفرع دون أن يأتوا بالكل»¹، كما يعدّ «رائد علم الأصوات الاصطناعية، ... فهو يستخدم مظاهر الطبيعة وحالاتها وبعض الآليات، حتى يستنسخ بعض الأصوات والحروف»²، وجاء هذا في الفصل السادس من رسالته الذي عنوانه بـ «في أن هذه الحروف من أي الحركات الغير النطقية تسمع»³.

ومن علماء العرب القدامى الذين كانت لهم لمسة جوهرية في المجال الصوتي العالم "ابن جني" الذي هو محل دراستي في الفصل الثاني، لذلك سنتطرق هنا إلى لمحة بسيطة فقط عن جهوده في هذا المجال، حيث أن الدراسة الصوتية العربية أخذت عنده طابعها الاستقلالي من خلال مؤلفه (سر صناعة الإعراب)، وهو ما يؤكد بقوله: «وما علمت أحدا من أصحابنا خاض في هذا الفن هذا الخوض ولا أشبعه هذا الإشباع»⁴، وأبسط دليل على ذلك «أنه كان أول من استعمل مصطلحا لغويا للدلالة على هذا العلم ما زلنا نستعمله حتى الآن وهو علم الأصوات»⁵.

أما ترتيبه للحروف فقد جاء موافقا في معظمه لترتيب "سيبويه" ما عدا وضعه القاف قبل الكاف، وتأخيرها الضاد إلى ما بعد الياء وهو كالتالي: الهمزة والألف والهاء والغين والحاء والقاف والكاف والجيم والشين والياء والضاد واللام والراء والنون والطاء والذال والتاء والفاء والباء والميم والواو. أما عن مخارج الأصوات فلقد حددها في ستة عشر مخرجا⁶.

وما يلفت الانتباه في هذا الكتاب تشبيه "ابن جني" مجرى الهواء في الحلق والقم بالناي قائلا: «فإذا وضع الزامر أنامله على خروق الناي المنسوقة، وراوح بين عمله اختلفت الأصوات وسمع لكل خرق منها صوت لا يشبه صاحبه، كذلك

¹ اسحاق رحمانى، دراسة فيسيولوجية الأصوات عند ابن سينا من خلال كتابة "أسباب حدوث الحروف"، مجلة اللغة العربية وأدائها، جامعة الكوفة، كلية الآداب، ع10، 2010م، ص 131.

² المرجع نفسه، ص 134.

³ ينظر: ابن سينا، أسباب حدوث الحروف، تحقيق: محمد حسان الطيان، دار الكتب العلمية، 2011م، ص 17.

⁴ ابن جني، سر صناعة الإعراب، تحقيق: مصطفى السقا وأصحابه، البابي الحلبي، القاهرة، 1954م، ص 56/1.

⁵ أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب مع دراسة لقضية التأثير والتأثر، المرجع السابق، ص 101.

⁶ ينظر: ابن جني، سر صناعة الإعراب، المصدر نفسه، ص 46/1-48.

إذا قطع الصوت في الحلق والهم باعتماد على جهات مختلفة كان سبب استماعنا هذه الأصوات المختلفة»¹.

إن ما سبق ذكره يؤكد أن للعرب فضل في تأصيل نظرية الصوت اللغوي واضطلاعهم بأعباء المصطلح الصوتي منذ القدم، ولقد كان « للقدماء من علماء العربية بحوث في الأصوات اللغوية، شهد المحدثون أنها جليلة القدر بالنسبة إلى عصورهم، وقد أرادوا بها خدمة اللغة العربية والنطق العربي، ولاسيما في الترتيل القرآني، ولقرب هؤلاء من عصور النهضة العربية، وإيصالهم بفصحاء العرب كانوا مرهفي الحس، دقيقي الملاحظة، فوصفوا لنا الصوت العربي وصفا أثار دهشة المستشرقين وإعجابهم»²، ويمكن عرض ملامح المنهج الصوتي عندهم فيما يلي³:

- إدراكهم لحقيقة الصوت اللغوي وخصائصه، وأثره السمعي وأهميته في الدرس اللغوي، ووضعوا أبجدية صوتية للغة العربية، رتبت أصواتها وفق أساس علمي دقيق، وهو الأساس الصوتي الذي ابتكره "الخليل"، فقد وضع أول أبجدية من هذا النوع عرفتها اللغة العربية.

- إسهامهم الوافر في دراسة الأصوات اللغوية، وإن كانت لم تتخذ طابعا منظما أو منهجية واضحة المعالم.

- عدم اقتصار دراستهم على الجانب النظري فحسب، بل اقترنت بالجانب العلمي المتمثل في التشريح فعرفوا أعضاء النطق أو جهاز النطق، وعالجوا عيوب النطق وأمراض الكلام.

- سارت الدراسات الصوتية القديمة في مسالك شتى، فجاء بعضها توطئة للعمل المعجمي وبعضها لخدمة كتاب الله أداء وتجويدا، وبعضها لقياس مستوى الفصاحة والبيان في الكلام العربي، وبعضها كان مقدمة لدراسة الظواهر اللغوية المختلفة، واعتمدها في الأغلب على المنهج الوصفي، والحقيقة أن العرب قد اتخذوا الدرس الصوتي واللغوي عامة وسيلة وإن كان هذا الدرس قد انتهى بهم إلى أن يكون غاية في حد ذاته.

المبحث الثالث: الدرس الصوتي عند العرب المحدثين.

لقد اهتم العرب المحدثون أيضا بدراسة الأصوات، ولكن حظهم كان أوفر من العلماء القدامى، إذ توفرت لديهم الوسائل العلمية والآلية التي تعينهم في دراساتهم ونذكر من هؤلاء الباحثين الدكتور "كمال بشر" (ت2015م) في كتابه (علم الأصوات) وقد أشار في الباب الأول إلى الدرس الصوتي بنظرة عامة،

¹ المصدر نفسه، ص 09-08/1.

² إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، المرجع السابق، ص 04.

³ ينظر: عبد الرحمن حسن العارف، اتجاهات الدراسات الصوتية، المرجع السابق، ص 124.

ودرس في الباب الثاني الأصوات العربية، و ذكر الجهاز النطقي، وصنف الأصوات الانفجارية والأصوات الاحتكاكية وأشار إلى الحركات العامة، ودرس الحركات العربية وختم كتابه بأهمية الأصوات في دراسة اللغة¹، حيث يعد "كمال بشر" من أوائل المحدثين العرب الذين درسوا في الجامعات الغربية ونقلوا جديد دراساتهم إلى الدرس اللغوي العربي الحديث، فجاء كتابه وفق المنهج الحديث للدراسات اللغوية، تناول فيه جهاز النطق ومخارج حروفها، وتحدث عن الأصوات وتقسيمها إلى صامتة وصائتة، وبيان صفات كل قسم منها من جهر وهمس واحتكاك وانفجار وغير ذلك، ومن ثم تناول الجانب الفونولوجي المتمثل في دراسات الفونيمات والمقاطع وما تتضمنه من أحوال صوتية كالنبر والتنغيم والفواصل الصوتية، وفي نهاية الكتاب ذكر أهمية علم الأصوات في دراسة اللغة بشكل عام²، حيث يرى أن الفوناتيكي والفونولوجيا وجهان لعملة واحدة، لا يمكن أن يستغني أحدهما عن الآخر، إذ أجاز ضمهما معا تحت مسمى واحد هو (علم الأصوات) ويرى أيضا أن مخارج الحروف أحد عشر مخرجا، مخالفا في هذا القدماء وبعض المحدثين وموافقا لبعضهم الآخر، وقسم الصفات من حيث صفاتها النطقية إلى قسمين، قسم مهجور وآخر مهموس، معتمدا في التفريق بين الاثنين على حال الوترين، الصوتي من التذبذب أو عدمه حال مرورا الهواء في الجهاز النطقي، فتذبذب مع الصوت المجهور ولا تتذبذب مع نظير المهموس³.

وأیضا نجد الدكتور "أحمد مختار عمر" (1933-2003م) في كتابه (دراسة

الصوت اللغوي)، درس فيه علم الأصوات السمعي والتجريبي، وطرائق الكتابة الصوتية وعلم الأصوات النطقي، وخصص المؤلف الباب الرابع لأصوات اللغة العربية، ذكر فيه توزيع الأصوات مخرجا فوزعها بحسب نوع التحكم، ودرس كذلك الجهر والهمس والأصوات المفخمة والنبر والمماثلة والمخالفة والقلب، ثم بين أهمية علم الأصوات⁴، حيث نجده قد تطرق في الباب الأول إلى "أكوستيكية الصوت" إذ يرى أن العملية الصوتية تتضمن عناصر ثلاثة وهي: "وجود جسم في حالة تذبذب، وجود وسط تنتقل فيه الذبذبات الصادرة عن الجسم المتذبذب

¹ ينظر: إبراهيم عبود السمرائي، المصطلحات الصوتية بين القدماء والمحدثين، دار جرير للنشر والتوزيع، عمان، ط 01، 1432هـ-2011م، ص 24-25.

² ينظر: غانم قدوري، المدخل في علم الأصوات العربية، منشورات المجمع العلمي، تكريت، 1423هـ-2002م، ص 09.

¹ المرجع نفسه، ص 192.

⁴ إبراهيم عبود السمرائي، المرجع السابق، ص 25.

وأيضاً وجود جسم يستقبل هذه الذبذبات وانتقل إلى مصدر الصوت فقال أنه بشيء يسبب اضطراباً أو تنوعاً ملائماً في ضغط الهواء مثل الشوكة الرنانة والوتد الممتد، وهو في أصوات اللغة أعضاء النطق ولاسيما الوترين الصوتين «¹.

نجد أن "أحمد مختار عمر" تطرق إلى العديد من المسائل في كتابه هذا الأخير في الدرس الصوتي اللغوي، سنتحدث عن بعض المواضيع التي تهتم ببحثنا هذا، ومن بينها الموجة الصوتية ويقصد بها هي مجموعة من الذبذبات الصوتية المتعاقبة التي تنتج إحداها عن الأخرى، وقد سبق أن ذكرنا أن مصدر الصوت بين تحركات لأجزاء الهواء المجاورة له، وأن هذه الأجزاء تضغط على الذرات الهوائية المجاورة لها، وتلك بدورها تضغط على الذرات المجاورة لها... وهكذا، تطرق أيضاً إلى إنتاج الكلام إذ يرى فيه أن القناة الصوتية تنتهي في أحد طرفيها بالأوتار الصوتية، وهي في طرفها الآخر مفتوحة للهواء من بين الشفتين وفتحتي الأنف، ولذا فهي تكون حجرة رنين ذات شكل معقد.

وقد ثبت عن طريق التحليل الأكوستيكي للكلام أن الاختلاف الصوتي التي يمكن إدراكها تعود إلى:

أ. درجة الصوت المتكون في الحنجرة glattal pitch بالنسبة للأصوات المجهورة (ثبت أن حوالي 80% من أصوات اللغة الانجليزية في الكلام المتصل تتصف بالجهر).

ب. اختلاف الموجات الصوتية تبعاً لاختلاف مكان النطق، و لاختلاف الشكل الكلي لتجويف ما فوق الحنجرة أثناء نطق الأصوات.

وتسمى الترددات فوق الحنجرة عادة باسم (الملازمة) أو (المتأصلة) في مقابل الترددات الحنجرية التي تتنوع تبعاً لسرعة تذبذب الأوتار الصوتية، وتنتج درجات الصوت المختلفة، بغض النظر عن نوعية الترددات فوق الحنجرية، وتحدث أيضاً إلى أن الأصوات الساكنة قد تكون إما أصواتاً ضوضائية خالصة دون وجود ذبذبة منتظمة، وهي تلك السواكن المهموسة (مثل التاء والسين والعين) أو تكون أصواتاً ضوضائية مقترنة بنغمة حنجرية، وهي المسماة بالسواكن المجهورة مثل (الباء والزاي...)، ويرى أن العملية الصوتية تبدأ من اللحظة حين تدخل موجة صوتية صماخ الأذن، وتصل إلى طبلة الأذن فتحركها، وبعد انتقالها عن طريق سلسلة العظام تؤثر في السائل الموجود في الأذن الداخلية

¹ أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، القاهرة، دط، ص 20-21.

بطريقة تحرك أعصاب سلسلة العظام التي تؤثر في السائل الموجود في الأذن الداخلية بطريقة تحرك أعصاب السمع، وتنتقل هذه الأعصاب صورة هذا الاضطراب إلى المخ، وتطرق أيضا إلى المقطع إذ يقول: «أن المقطع هو الوحدة الصغرى لأنه يرفض تقسيم الكم المتصل إلى أصوات لأن الأصوات في رأيه ليس لها وجود مستقل في الكلام»¹، أو في الحدث الكلامي ولكن المحدثين لم ينجحوا حتى الآن في إعطاء وصف شامل دقيق له، وهناك على أي حال اتجاهات رئيسيان في تعريف المقطع: اتجاه فونتيكي واتجاه فونولوجي².

وأیضا نجد من المحدثين الذين تطرقوا إلى الصوت اللغوي الدكتور "محي الدين رمضان" (638هـ/1165م) في كتابه (في الصوتيات العربية) درس فيه حدوث الأصوات وصفاتها ومخارجها، ودرس الوحدة الصوتية في الصيغة الصوتية³ وعرف أن اللغة هي أصوات مسموعة سواء أكانت مخاطبة أو ما هو من قبلها أم قراءة من نص مدون، إذ تطرق إلى عنصر مهم وهو أعضاء النطق و حدوث الصوت اللغوي، إذ تطرق إلى المصطلحات التي تتفق أو تقارب مثلها في الدرس اللغوي هي التي تتعلق بصفات الأصوات وما هو من قبلها، وهذه المصطلحات كثيرة منها جاء ذكره في لغة التراث وعند السلف من علماء اللغة، ومن ذلك أيضا ما له صلة بأعضاء النطق، وما له صلة بكيفية حدوث تلك الأصوات وآلية ذلك الحدوث ومواضع تكونها وصفاتها⁴، وفيما يلي الكلام على جهاز النطق وفي هذا المقام يقول: «إن حدوث الصوت اللغوي لا بد له من هواء، نجده يتوافر في الرئتين اللتين تشبهان المنفاخ، إذ تمتلئان بالهواء في كل شهيق وتفرغان من أكثره في كل زفير وهذا الهواء المزفور يساعد على إحداث الصوت اللغوي عند التكلم»⁵.

وللشفيتين أثر في حدوث الأصوات وتميزها بشأن كبير، فهما بمرانتهما تحددان وتشاركان في تكوين عدة مخارج، وهو ما لاحظته "أبو الأسود الدؤلي" إذا استعان بهما على رسم الحركات العربية، كما استعان بهما في عصرنا الحديث عالم الأصوات الانجليزي "دانيال جونز" فاستخلص عدة حركات مفردة

¹ أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، المرجع السابق، ص 161.

² أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب قضية التأثير والتأثر، المرجع السابق، ص 283.

³ ينظر: إبراهيم عبود السامرائي، المرجع السابق، ص 27.

⁴ محي الدين رمضان، في الصوتيات العربية، مكتبة الرسالة الحديثة، عمان، دط، 1980م، ص 57

⁵ المرجع نفسه، ص 14.

ومزدوجة، قدرت بأربعة وعشرين صوتاً، وأما اللسان فهو مجموعة عضلات مرنة، وذلك لما له من قدرة على الحركة في الفم، وكذلك حركة طرفه خارج الفم بين الأسنان وحوالي الشفتين، وهو أهم أعضاء النطق، لأنه يحصره النفس في مواضع الفم يشارك في حدوث عدد من الأصوات، ولهذه الأهمية سميت اللغة به كما نسبت علومها إليه فقليل اللسان أي اللغة وقيل علم اللسان أي علم اللغة وقيل اللسانيات أي علوم اللغة¹.

وأيضاً تطرق إلى أن صفات أصوات الحروف هي أصوات تنوعت واخترقت في مواضع من أعضاء النطق لظلت أصواتاً غير مميزة، ولصارت إلى عدد محدود لا يميزها غير امتدادها واتصالها، ولكن لما عرض ما حجزها في تلك المواضع وقطعها عن امتدادها واتصالها سمي الذي قطع عنده الصوت حرفاً، ولهذه اختلفت أنغام المقاطع أي الحروف².

والحروف من حيث امتداد الصوت واستطالته أو قصره وانقطاعه نوعان: أولهما إذا نطق به نحو مقطع أي موضع يحجز النفس بالصوت لم يسمع منه (نغم) أو (صدى)، وذلك مثل أصوات حروف الهمزة والقاف والطاء، لكنها تختلف في هذه الخاصية، وثانيها إذا نطق به نحو مقطع حرفه امتد صوته واستطال حتى ينقذ النفس به، وذلك مثل أصوات الألف والواو والياء المديتين، وزاد في امتياز هذين الصنفين من الأصوات وفي ما بين أصوات كل صنف اختلاف أشكال أعضاء النطق، وقد سمي الصنف الأول من هذه الأصوات الساكن والصنف الثاني المتحرك، والأصوات الساكنة هي كل أصوات الحروف ما عدا أصوات حروف الألف والواو والياء المديتين والحركات الثلاث، وصفت بأنها صامتة كما وصفت المتحركة بأنها صائتة، ويلاحظ في جري النفس أثناء النطق أن مواضع حدوث بعض الحروف تعترض النفس، كما أن الوترين الصوتيين يتأثران بجري النفس فهما إما منقبضان متشنجان، والنفس في هذه الحال منحسب بهما، وذلك عند نطق الهمزة وأصوات الحركات الصغرى الفتحة والضمة والكسرة وأما مسترخيان منبسطان، والنفس في هذه الحال يجري من بينهما فتحة المزمار فلا يلاحظ عليهما تذبذب وإما منقبضان بعض انقباض، والنفس في هذه الحال يجري من بينهما في شيء من الانحباس³.

¹ ينظر: المرجع نفسه، ص 61.

² المرجع نفسه، ص 64.

³ ينظر: محي الدين رمضان، المرجع السابق، ص 74.

ومن الأصوات المهموسة صنفان: أحدهما مثل الهمزة والباء والذال، وهذا لا يجري النفس إلا بحدوثه، وثانيهما مثل الهاء والحاء والسين وهذا يجري النفس بها بأقل كلفة من أصوات الجهر، ومن الحروف المهموسة حروف عبارة: (أجدت طبقك) غير حرف الجيم والمجهورة حروف غير هذه العبارة.

تطرق "محي الدين رمضان" أيضا إلى مخارج الأصوات حيث عدّ حروف أصوات اللغة العربية تسعة وعشرون حرفا عند أغلب علماء اللغة، وعدّها نفر ثمانية وعشرين ومن هؤلاء "أبو المبرد" إذا ترك الألف لأنها لا تثبت على صورة معلومة، وليس لها شكل بين الحروف محفوظة¹.

إن بعض المخارج تختص بأكثر من صوت، وربما اختصت بصوتين كمخرج العين والحاء ومخرج الغين والحاء، وربما اختصت بثلاثة أصوات كمخرج الجيم والشين والياء ومخرج الباء والميم والواو والمخارج نفسها قسما: أحدهما: ثلاثة مخارج للحلق، وثانيهما: ثلاثة عشر مخرجا هي للفم ونبدأ بمخارج الحلق، «مخرج أقصى الحلق له ثلاثة أصوات الهمزة والهاء والألف، أما الهمزة (أ) صوت الهمزة أول هذه الأصوات مخرجا من الحنجرة، إذ النفس منحسب بالوترين الصوتيين بقوة وحفز، ويساعد على الحفز وقوة مقاومة حجاب الحاجز وعضل الصدر، وانغلاق الوترين ومنعهما للنفس المتردد بينهما وبين الصدر بعض الوقت، فإذا انفرج الوتران فجأة اندفع الهواء بالصوت وسمع صوتها شديدا قويا، وأيضا "الهاء" وصوتها هو الثاني مخرجا بعد الهمزة و يحدث بهواء مندفع من الصدر لا يحول دونه عائق غير أن فتحة الوترين الصوتيين بها شيء من التضيق، والفم مفتوح بمقدار نطق صوت القاف من قبل، إذا يدعك النفس الفتحة ويتبدد في فراغ أقصى الحلق وبعض أدناه وأيضا "الألف" وصوتها ثالث أصوات هذا المخرج ويحدث باندفاع الهواء من الصدر عبر الحنجرة دون عائق ما، واللسان منخفض في قاع الفم وسقف الحنك اللين مرتفع والوتران الصوتيان متشنجتان مهتران شيئا ما، ويتبدد الهواء في فراغ الحلق والفم»².

نجد أن "محي الدين رمضان" تحدث عن كل ما يخص مخارج الصوت في كتابه وفصل فيه كثيرا نجده تطرق إلى مخرج وسط الحلق، أيضا إلى مخرج

¹ ينظر: المرجع نفسه، ص 77.

² محي الدين رمضان، المرجع السابق، ص 96

أدنى الحلق للفم أيضا إلى المخرج اللساني الحنكي القصيبي، و أيضا إلى مخرج وسط اللسان ومقابلته من الحنك الأعلى وغيرهم من المخارج¹.

وأيا نجد من العلماء المحدثين الذين تكلموا عن نشأة الدرس الصوتي العربي نجد الدكتور "سلمان العالي" في كتابه (التشكيل الصوتي) اعتمد المؤلف في دراسته على جهاز (الإسيكتروجراف) فحلل الأصوات التي سجلها بصوته وأصوات آخرين اختارهم لدراسة على هذا الجهاز تحليلا مخبريا، فحول الكلام إلى صورة مرئية ذات بعدين، أحدهما: عمودي ويمثلذبذبة الكلام، والآخر: أفقي يمثل الزمن، وقد استخدم في إعداد هذا الكتاب ثلاثة أنواع من التحليل الاستكتروجرافي هي:

أولاً: الحزمة الواسعة Boad Band تقوم طريقة الحزمة الواسعة أساسا بتحليل أصوات الكلام بذبذبة مقدارها (300 دائرة في الثانية)، حيث تظهر في الصورة على شكل معالم وتمثل هذه المعالم (مناطق تمرکز ضغط طاقة) وتبدأ في الظهور أفقيا وتسمى المعلم الأول (م1)، المعلم الثاني (م2) المعلم الثالث (م3)... الخ، وهذه الطريقة استخدمها في دراسة الفونيمات المنفردة.

ثانياً: الحزمة الضيقة Narrow Band: تقوم هذه الطريقة بتحليل الأصوات بذبذبة مقدارها (45 دائرة في الثانية)، حيث تظهر في الصور على شكل أبنية نغمية وهذه الطريقة استخدمها في بحث في درجة الصوت والتنغيم.

ثالثاً: مجسم الاتساع المستمر Continuous Amplitude Display: حيث يتم إعداد هذا الجسم بدائرة خاصة تلحق بجهاز الإسيكتروجراف، وهذه الطريقة تفيد في دراسة شدة صوت الكلام ودراسة النبر، فدرس وحلّ في كتابه الحركات، ووضع الصور والرسوم التوضيحية لها، كما درس وحلّ السواكن وقسمها إلى الأنفية والوقفية والمكررة والاحتكاكية والمجهورة، كما درس الأصوات المفخمة ووضع الرسوم البيانية لتوضيحها، ودرس الحلقيّة والحنجرية والمقطع والنبر والتنغيم، معتمدا في دراسته على جهاز الإسيكتروجراف².

ومن المحدثين الذين تطرقوا وتحدثوا عن الدرس الصوتي العربي الحديث حيث ساروا في بحر العلم و المعرفة والأسئلة نجد "إبراهيم أنيس" الذي هو محطّ

¹ ينظر: المرجع نفسه، ص 102.

² إبراهيم عبود السمرائي، المرجع السابق، ص 25-26.

بحثي حيث سنتطرق إلى لمحة بسيطة في هذا المبحث ونترك أهم النقاط في المبحث الثاني من الفصل الثاني .

لقد أجمع المحدثون¹ على أن مرحلة الكلام عند الإنسان متأخرة، إذا اقتبست بتطوره فوق سطح البسيطة، وهو يرجحون أن الإنسان الأول قد حاول النطق في عصوره الحجرية، وكان الدافع الأول لهذا النطق مجرد المصادفة، فقد نمت فيه قوة السمع قبل قوة النطق، فسمع الأصوات الطبيعية حوله، ولكنه لم يقلدها في هذه المرحلة، لأن هذا يفترض له حينئذ قدرة عقلية لم يستطع المحدثون أن يتصورها للإنسان في هذه المرحلة من حياته، فتقليده للأصوات الطبيعية حوله مرحلة متأخرة، جاءت بعد أن حاول هو النطق أولاً، ولم يكن لنطقه الأول غرض خاص يرمي إليه بل كان عضواً أو إن شئت فقل غريزياً، وليس يعنينا أن نقف هناك طويلاً، وإنما الذي نحاول أن نتصوره هو إنسان يستغل أصوات نفسه وأصوات المظاهر الطبيعية في حاجاته الأولية، كالجاذبية الجنسية إلى أليفه، أو محاولة صد الأعداء وحفظ النوع، يدعو إلى تكوين حياة اجتماعية يتصل فيها النوع الإنساني بعضه ببعض، كما يدعوا إلى الاتجاه إلى حد كبير على نمو لغته، ولكن العامل الأكبر يرقى هذه اللغة وبلوغها ما بلغت، هو ما امتاز به الإنسان من ذكاء لم يشركه فيه غيره من الحيوانات فكثير من الحيوانات تعيش حياة اجتماعية، ولها من الحناجر ما تستطيع به التصويت بأنواع متباينة من الأصوات، ولكنها لم تستطع أن تنطق كما نطق الإنسان، لأنها لم توهب القدرة العقلية الكافية أو الاستعداد الفطري لتكون من تلك الأصوات لغة لها، فلا غرابة إذن أن سمي القدماء الإنسان حيواناً ناطقاً، مر يدين بهذا بأنه حيوان ذكي ذو قوة عقلية خارقة، وقد أظهر التشريح كثيراً في حجم المخ الإنساني ولاسيما الجزء الخاص بالكلام منه، وقد ساعده ذكاؤه على ترجمة الأصوات وتفسيرها ثم تقليدها، وأدى كل هذا في آخر الأمر إلى تكوين لغته ذات القواعد والأصول.

والغناء الإنساني لمجرد الطرب متأخر الوجود عن الكلام أو النطق، وربما كان الغناء أول الأمر لمجرد الجاذبية، ثم تطور فأصبح لإشباع رغبة فنية في الإنسان، حتى الحيوانات لا يكون لها غرض خاص من غنائها فالبلبل الذي يصدح في الغابات يرى بغنائه إلى اجتذاب أليفه، دون أن يكون له غرض خاص يرى إليه، لأن حياة الحيوان شاقة مفعمة بالمآسي والجهد فليس لديه فرصة فراغ

¹ ينظر: إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، المرجع السابق، ص 13-14.

يقضيها في مجرد لهو أو طرب، وربما كان الإنسان وحده دون سائر الحيوانات هو الذي يستغل اللسان والحنك والشفنتين في تكييف صوته على النحو الذي تألفه.

الفصل الثاني

المباحث الصوتية عند "ابن جني" و"إبراهيم أنيس"

المبحث الأول: المباحث الصوتية عند "ابن جني".
المبحث الثاني: المباحث الصوتية عند "إبراهيم أنيس".
المبحث الثالث: المقارنة بين المباحث الصوتية عند "ابن جني" و"إبراهيم أنيس".

نظرا لأهمية الدراسات الصوتية، ومدى حيويتها لكل لغة، استرعت انتباه علماء العربية القدامى قبل المحدثين، الذين أدركوا بدورهم أن اللغة لا يستقيم عودها ولا تتكشف معالمها من غير الدراسة الدقيقة لأصواتها؛ لذلك نشطت جهودهم في هذا المجال، مستفيدين من الأجهزة ووسائل البحث الحديثة، وعليه سنحاول في الفصل عرض أهم المباحث الصوتية التي تناولها كل من العرب القدماء منهم والمحدثين، للكشف عن بعض من أوجه الاتفاق والاختلاف بينهما، مقتصرين على واحد من كلا العصرين وهما: "ابن جني" و"إبراهيم أنيس".

المبحث الأول: المباحث الصوتية عند "ابن جني":

عرف البحث الصوتي عند العرب تطورا كبيرا من "الخليل ابن أحمد الفراهيدي" و"سيبويه" إلى غاية عصر "ابن جني"، ونظرا إلى ما قدمه هذا اللغوي في مجال الدراسة الصوتية من تأليف كتاب مختص في الأصوات، ثم تقديم دراسة شبيهة كاملة للموضوعات التي تعد الآن مجال البحث الصوتي الحديث من دراسة الأصوات اللغوية ومخارجها وصفاتها، ودراسة الحركات اللغوية ودراسة التغيرات الصوتية.

1- طبيعة الصوت اللغوي:

يقول "ابن جني" في تعريف الصوت: « اعلم أن الصوت عرض يخرج مع النفس مستطيلا متصلا، حتى يعرض له في الحلق والشم والشفيتين مقاطع تنثيه عن امتداده واستطالته، فيسمى المقطع أينما عرض له حرفا وتختلف أجراس الحروف بحسب اختلاف مقاطعها...»¹.

من خلال هذا التعريف يريد "ابن جني" أن يوضح كيفية صدور الأصوات اللغوية واختلافها باختلاف مخارجها، ولمزيد من التوضيح يأتي بالتشبيهين التاليين:

أ- يشبه الحلق والشم بآلة الناي: فيقول: « فإن الصوت يخرج فيه مستطيلا أملسا ساذجا كما يجري الصوت في الأنف غفلا يغير صنعه، فإذا وضع الزامر أنامله على خروق الناي المنسوقة، ورواح بين أنامله، اختلفت الأصوات، وسمع لكل خرق منها صوت لا يشبه صاحبه، فكذلك إذا قطع الصوت في الحلق والشم باعتماد على جهات مختلفة كان سبب استماعنا هذه الأصوات المختلفة »².

¹ ابن جني، سر صناعة الإعراب، المصدر السابق، ص 06/1.

² ابن جني، سر صناعة الإعراب، المصدر السابق، ص 09/1.

ب- يشبه صدور الأصوات مرة ثانية بوتر العود: حيث يقول: « فإن الضارب إذا ضربه وهو مرسل، سمعت له صوتا، فإن حسر آخر الوتر ببعض أصابع يسراه أدى صوتا آخر، فإن أدناها قليلا سمعت غير الاثنتين، ثم كذلك كلما أدنى أصبعه من أول الوتر تشكلت لك أصداء مختلفة، إلا أن الصوت الذي يؤديه غفلا غير محصور، تجده بالإضافة إلى ما أداه وهو مضغوط محصورا أملس مهتزا، ويختلف بقدر قوة الوتر و صلابته، وضعفه ورخاوته، فالوتر في هذا التمثيل كالحلق، والخفقة بالمضراب عليه كأول الصوت من أقصى الحلق، وجريان الصوت فيه غافلا غير محصورا كجريان الصوت في الألف الساكنة، وما يعترضه من الضغط والحصر بالأصابع كالذي يعرض للصوت في مخارج الحروف من المقاطع، واختلاف الأصوات هناك كاختلافها هنا...»¹، وهكذا يشبه "ابن جني" الحلق بالوتر والخفقة والاهتزاز بالمضراب على الوتر كأول الصوت في أقصى الحلق، وجريان الصوت في الوتر عند ما يكون غير محصور كجريان الصوت في الألف الساكنة، أما الضغط والحصر بالأصابع الذي يعترض جريان الصوت في الناي فهو كالاغراض الذي يحدث للصوت في مخارج الحروف من المقطع، فيبدوا تكوين الصوت عند "ابن جني" كتكوين الأصوات في الناي والعود بحيث يصدر الصوت اللغوي، بتحريك الهواء في اتجاه واحد خلال ممر مغلق، فتحدث في طريق خروجه وقفات واعتراضات في مواضع مختلفة (كالحلق والفم...) تنتسب في حدوث أصوات متنوعة، ويتضح مما سبق أن "ابن جني" عرق عملية حدوث الأصوات اللغوية وحاول تجسيم تلك العملية بالتشبيهين السابقين.

2- الصوت والحرف:

ينتقل "ابن جني" إلى تقديم الفرق بين مصطلحي الصوت والحرف فيرى أن « الصوت عام غير مختص يقال سمعت صوت الرجل، وصوت الحمار...»² أي أن الصوت لا يخص فئة معينة من الكائنات دون غيرها بينما يخص الحرف الأصوات البشرية وحدها.

ثم يعطينا تحليلا كاملا لاشتقاق الصوت والحرف، ولكن الطابع الحرفي لا الصوت قد وسم ذلك التحليل، فهو يبحث في أصل الكلمتين ويأتي بأمثلة فمصدر الصوت صات الشيء، يصوت صوتا فهو صائت، وصوت تصويتا فهو مصوت،

¹ المصدر نفسه، ص 09/1-10.

² المصدر نفسه، ص 11/1.

أما الحرف فهو مشتق من مادة (ح ر ف) وأينما وقعت هذه المادة في الكلام دلت على حد الشيء وحدته، من ذلك حرف الشيء أي ناحيته...، وسميت حروف المعجم حروفاً، وذلك أن الحرف حد منقطع الصوت وغايته وطرفه كحرف الجبل ونحوه، ويجوز أن تكون سميث حروفاً لأنها جهات الكلم ونواح كحروف الشيء وجهاته المحدقة به، ومن هذا قيل: « فلان يقرأ بحرف "أبي عمرو" وغيره من القراء، وذلك لأن الحرف حد ما بين القرائتين وجهته وناحيته ويجوز أيضاً أن يكون قولهم "حرف فلان" يراد به حروفه التي يقرأ بها...»¹.

3- الجهاز الصوتي:

لم يعطينا "ابن جني" ولا من سبقه من اللغويين العرب تعريفاً واضحاً للجهاز الصوتي، ولم يعرف هذا الجهاز بتاتا كجهاز مهم في العملية الصوتية، وذلك نظراً للحالة التي كان عليها الطب آنذاك، وتخلف علم التشريح، فجاء الحديث عن هذا الجهاز أثناء دراسة المخارج ودراسة صفات الحروف، ولذلك كان الكلام عن هذا الجهاز عضواً عضواً، الواحد مستقل عن الآخر وكأن تلك الأعضاء مستقلة تماماً بعضها لبعض ولا ترابط أو تعاون بينها، ومن خلال التفاصيل التي أتى بها "ابن جني" في كلامه عن الصوت و النطق وعن مميزات الحروف وترتيبها، نستطيع أن نعرف الأعضاء التي تدخل في الجهاز الصوتي عنده وهي: الصدر والحلق والقم والشفتان والخياشيم...إلخ.

أما الصدر أو أصل النفس² ضروري لإنتاج الصوت وهو النقطة التي يبدأ منها الصوت خروجه مستطيلاً متصلاً، وبالصدر يقصد "ابن جني" الرئتين وما يحيط بهما ونلاحظ أنه لا يوجد في الصدر أي مخارج من مخارج الحروف، وقد يكون ذلك هو السبب في ضالة اهتمام "ابن جني" عند الكلام عن الفرق بين الصوت والحرف فيقول: «...حتى يعرض له في الحلق... مقاطع تنبيه عن امتداده...»³، ثم يذكره حين يتحدث عن المخارج حيث يقسم الحلق إلى ثلاثة أقسام: أقصى الحلق- ووسطه- وأدناه، وأما الفم فيتكون من عناصر ثلاثة:

أ- اللسان: وشارك في العملية الصوتية بأقصاه ووسطه وطرفه يقول "ابن جني": « ومما فوق ذلك من أقصى اللسان مخرج القاف... ومن وسط اللسان

¹ ابن جني، سر صناعة الإعراب، المصدر السابق، ص 12/1.

² المصدر نفسه، ص 09/1.

³ ابن جني، سر صناعة الإعراب، المصدر السابق، ص 06/1.

مخرج الجيم والشين والياء... ومن طرف اللسان مخرج القاف... ومن وسط اللسان مخرج الجيم والشين والياء... ومن طرف اللسان مخرج النون...»¹

ب- الحنك الأعلى: ويشارك في العملية الصوتية كالتالي: « ومن وسط اللسان وينبه وسط الحنك الأعلى مخرج الجيم والشين والياء»².

ج- الأسنان: وتنقسم إلى أقسام: الثنايا، الرباعيات، الأنياب والضاحك وتدخل كلها في عملية التصويت، كما تدخل في عملية التصويت أصول الثنايا وأطرافها³، وأما الشفتان فتلعبان دوراً مهماً في العملية الصوتية إما الاثنتان معا وإما السفلى بمفردها.

وأما الخياشيم فقد حظيت عن "ابن جني" باهتمام كبير، إنها مخرج من مخارج الحروف مخرج النون الخفيفة أو الساكنة أو الغنة⁴.

وبناء على ما سبق ذكره، وبالرغم من عدم معرفة القدماء للجهاز الصوتي المتكامل، فإن "ابن جني" استطاع أن يقدم بدقته أهم الأعضاء المكونة للجهاز الصوتي ويعرف دورها في عملية التصويت.

4- الحروف العربية عند "ابن جني":

لقد سار "ابن جني" على نهج "سيبويه" ومن اتبعه من اللغويين في تقسيم الحروف العربية إلى أصول وفروع، يقول "ابن جني": « اعلم أن أصول حروف المعجم عند الكافة تسعة وعشرون حرفاً، فأولها الألف وآخرها الياء على المشهور من ترتب حروف المعجم »⁵، ويرتب "ابن جني" حروف الأصول حسب المخارج على النحو التالي: « الهمزة والألف، الهاء والعين والحاء والغين والحاء والقاف والجيم والشين والياء والضاد واللام والراء والنون والطاء والذال والتاء والصاد والزاي والسين والطاء والذال والتاء والفاء والباء والميم والواو »⁶، ثم يضيق إلى هذه الأصول الفروع التالية "واعلم أن هذه الحروف التسعة والعشرين قد تلحقها ستة أحرف تتفرع عنها حتى تكون خمسة وثلاثين حرفاً، وهذه الستة حسنة يؤخذ بها في القرآن وفصيح الكلام وهي النون الخفيفة، ويقال الخفية والهمزة والمخففة وألف التفخيم وألف الإمالة والشين التي كالجيم والصاد

¹ المصدر نفسه، ص 52/1.

² ابن جني، سر صناعة الإعراب، المصدر السابق، ص 52/1.

³ ينظر: المصدر نفسه، ص 52/1.

⁴ المصدر نفسه، ص 53/1.

⁵ المصدر نفسه، ص 26/1.

⁶ ابن جني، سر صناعة الإعراب، المصدر السابق، ص 50/1.

التي كالزاي وقد تلتق بعد ذلك ثمانية أحرف، وهي فروع غير مستحسنة ولا يؤخذ بها في القرآن ولا في الشعر، ولا تكاد توجد إلا في لغة ضعيفة مردولة غير متقبلة وهي: « الكاف التي بين الجيم والكاف والجيم كالكاف والجيم¹ التي كالشين والضاد الضعيفة والصاد التي كاللين، والطاء التي كالتاء والظاء التي كالتاء والباء التي كالميم، ولا يصح أمر هذه الحروف الأربعة عشر اللاحقة للتسعة والعشرين، حتى كملتها ثلاثة وأربعين إلا بالسمع والمشاهدة²».

ونذكر هنا أن "ابن جني" انتبه إلى الفرق الذي جاء به في تصنيف الحروف العربية حسب مخرجها، بين "الخليل" و"سيبويه"، فيؤكد أن الترتيب الصحيح للحروف على مذاقها وتصعدها، هو الذي جاء به "سيبويه"، لأن الترتيب في كتاب "العين" فيه خلل واضطراب ومخالفة لما قدمناه آنفا مما رتبّه "سيبويه".

ونؤكد مرة ثانية أن القدماء سبقوا عصرهم في كونهم استعملوا وسائل بدائية مرئية فقط، مكنتهم من تقديم تصنيف دقيق للحروف حسب المخارج بالرغم من أنهم لم يعرفوا الجهاز الصوتي المتكامل والمخابر الصوتية...

كما انتبهوا إلى تقديم الحروف الفروع كصور صوتية لتغيرات جاء بعضها في لهجات القبائل العربية، وبعضها الآخر ظهر مع الموالي والأعاجم عند اعتناقهم الإسلام واختلاطهم بالعرب، ويرجع أصل هذه الحروف، كمل يقول القدماء، إلى الحروف العربية التسعة والعشرين.

5- مخارج الحروف:

بدأ "ابن جني" الكلام عن مخارج الحروف وعددها دون تحديد مصطلح المخرج أو تعريفه على نحو ما فعل "سيبويه"، فقال: « اعلم أن مخارج هذه الحروف ستة عشر³، ثم يشرع في وصف المخارج مثلما وصفها "سيبويه" ويثني على هذا الأخير ويشكره على التقسيم القيم الذي أتى به أثناء تقسيمه للمخارج، مثلما وصفها "سيبويه" ويثني على هذا الأخير ويشكره على التقسيم مثل "الأخفش" الذي ذهب إلى أن الهاء مع الألف لا قبلها ولا بعدها ويقسم "ابن جني" مخارج الحلق إلى ثلاثة: ⁴

أ. أقصى الحلق ومنه مخرج الهمزة والألف والهاء.

¹ أشار "عبد الصبور شاهين" إلى أن هذين الصوتين لهما وصفان يدلان على صوت واحد. التطور اللغوي، مكتبة دار العلوم، ط 01، القاهرة، 1975م، ص 220.

² ابن جني، سر صناعة الإعراب، المصدر السابق، ص 51/1.

³ ابن جني، سر صناعة الإعراب، المصدر السابق، ص 50/1.

⁴ المصدر نفسه، ص 99/1.

ب. وسط الحلق ومنه مخرج العين والحاء.
 ج. أدنى الحلق ومنه مخرج الغين والحاء.
 ثم يعطينا سبعة مخارج تدرج من اللسان على الشكل الآتي: ¹
 أ. من أقصى مخرج القاف.
 ب. من أسفل من ذلك وأدنى إلى مقدم الفم مخرج الكاف.
 ج. من وسط اللسان بينه وبينه وسط الحنك الأعلى مخرج الجيم والشين والياء.

د. من أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس مخرج الضاد.
 ه. من حافة اللسان وما أدناها إلى منتهى طرف اللسان مما فوق الضاحك والناب والرباعية والثنية مخرج اللام.
 و. من طرف اللسان بينه وبين ما فوق الثنايا مخرج النون.
 ز. من ظهر اللسان قليلا لانحرافه إلى اللام مخرج الراء.
 ويذكر بعد ذلك مخارج بين اللسان والثنايا.
 أ. مما بين الثنايا وطرف اللسان مخرج الصاد والزاي والسين.
 ج. مما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا مخرج الظاء والذال والثاء.
 ويخرج مخرجا واحدا من باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا وهو مخرج الفاء وكذلك مخرجا واحدا من بين الشفتين وهو مخرج الميم والواو والباء ثم الخياشيم مخرج النون الخفيفة أو الخفية.

وهكذا نستطيع أن نقول "ابن جني" قدم مخارج الحروف الأصول التسعة والعشرين على النمط الذي أتى به "سيبويه" والذين سبقوه بصفة عامة. لكنه اجتهد أكثر وأضاف إلى هذا الترتيب لمخارج الحروف الأصلية، ترتيب مخارج الحروف الفرعية المستحسنة لأنه اعتبرها تغيرات صوتية حقيقة اللهجات العربية قبل الفتوحات الإسلامية، كما نستطيع القول مرة أخرى إن ما جاء به العرب القدماء عامة، و"ابن جني" خاصة بالنسبة إلى المخارج دقيق وصحيح، رغم عدم وجود وسائل علمية آنذاك تساعد علماء اللغة في أبحاثهم، كما أن الدراسات الحديثة لم تقم سوى بإحياء هذه التراثية حسب المناهج الحديثة.

6- صفات الحروف:

استعمل "ابن جني" عبارة أقسام الحروف للتعبير عن صفات الحروف فتحدث عن الشدة والرخاوة والجره والهمس والأطباق والانفتاح...

¹ المصدر نفسه ، ص 99/1.

كما قسّم هذه الصفات إلى صفات عامة، تخص كل حروف المعجم وصفات خاصة تخص حرفاً أو حرفين وسماها مصطلحات أخرى.

أ- الصفات العامة:

(1) **الجهر والهمس:** يقول "ابن جني": « فمن ذلك انقسامها إلى الجهر والهمس وهي على ضربين: مجهور ومهموس، فالمهموسة عشرة أحرف: الهاء، الحاء، الخاء، الكاف، الشين، الصاد، التاء، السين، التاء والفاء ويجمعها لفظك: (ستشك خصة) وباقي الحروف هي تسعة عشر حرفاً مجهوراً¹.

نلاحظ أن "ابن جني" يتكلم عن الجهر والهمس، ويعد المهموس ويذكره حرفاً حرفاً وينتقل بعد ذلك إلى تعريف المجهور والمهموس بشكل شبه كلي على تعريف "سيبويه" للصفتين فيقول: « فمعنى المجهور أنه حرف أشبع الاعتماد في موضعه ومنع النفس أن يجري معه حتى ينقضي الاعتماد ويجري الصوت، غير أن الميم والنون من جملة المجهورة قد يعتمد لهما في الفم والخياشيم فتصير فيهما غنة فهذه صفة المجهور².

ولا بعد الحروف ولا يذكرها، بل يكفي بذكر الميم والنون منها، حيث يتعرض للغته ثم يعرف المهموس فيقول: « وأما المهموس فحرف أضعف الاعتماد في موضعه حتى جرى معه النفس، وأنت تعتبر ذلك بأنه قد يمكنك تكرير الحرف مع جري الصوت نحو: سسس كككك هههه ولو تكلفت مثل ذلك في المجهور لما أمكنك³.

نلاحظ أن "ابن جني" مثل "سيبويه" لم يتمكن من تحديد الجهر والهمس تحديداً دقيقاً ومرة إلى ذلك جعلهما، الطبيعي آنذاك، بدور الوترين الصوتيين في العملية الصوتية وبقي الغموض محيطاً بالجهر والهمس حتى جاء "ابن سينا" وشرح لحنجرة واللسان، فأدرك اللغويين أن وضع الوترين الصوتيين هو الذي يحدد الصفات ومنها الجهر والهمس.

(2) الشدة والرخاوة:

يذكر "ابن جني" بعد ذلك انقساماً آخر للحروف، هو الشدة والرخاوة وما بينها، فيعد الحروف الشديدة ثمانية وهي: « الهمة والقاف والكاف والجيم والطاء

¹ ابن جني، سر صناعة الإعراب، المصدر السابق، ص 38/1.

² المصدر نفسه، ص 69/1.

³ ابن جني، سر صناعة الإعراب، المصدر السابق، ص 69/1.

والدال والتاء والباء ويجمعها في اللفظ قولك: "أجدت طبقك" أو "أجدك طبقت" ¹ ثم يضيف والحروف التي بين الشدة والرخاوة ثمانية أيضا وهي: الألف والعين والياء واللام والنون والراء والميم والواو ويجمعها في اللفظ قولك: "لم يروعنا" وإن شئت قلت "لم يروعنا" وما سوى هذه الحروف والتي قبلها هي الرخوة. فمما سبق، نستطيع أن نرجع إلى تعليقنا السابق، حيث أن الغموض الذي ميز تعريف "ابن جني" والقدماء عامة عن ذكر الصفات راجع إلى عدم معرفتهم للوترين الصوتيين ودورهما في تحديد صفات الأصوات اللغوية.

ب- مصطلحات أخرى:

1) الأطباق أو الانفتاح: يذكر "ابن جني" الحروف المطبقة وهي الضاد والطاء والصاد والظاء ثم يعرف الأطباق كما عرفه "سيبويه" وهو: « أن ترفع ظهر لسانك إلى الحنك الأعلى مطبقا له »²، ويضيف الأمثلة نفسها التي جاء بها "سيبويه"، فيرى أنه لولا الأطباق لصارت الطاء دالا والصاد سينا والطاء ذلك ولخرجت الضاد من الكلام... وأن هذه الحروف محصورة « فالصوت محصور فيما بين اللسان والحنك إلى موضع الحروف »³، ويرى أن ما سوى حروف الأطباق الأربعة مفتوح غير مطبق. ولم يفسر أو يشرح معنى الانفتاح. ويبقى تعريف الأطباق والانفتاح في البحث الصوتي تقريبا على هذا النحو، ولم يأت المحدثون بالشيء الكثير، ولم تتعدى إضافتهم بعض التفاصيل العلمية البسيطة التي وفرها التقدم العلمي بصفة عامة.

2) الاستعلاء والانخفاض: يذكر "ابن جني" الحروف المستعلية وهي:

«الخاء والغين والقاف والضاد والطاء والصاد والظاء، وما عدا هذه الحروف فمنخفض ومعنى الاستعلاء أن تتصعد في الحنك الأعلى، فأربعة منها فيها مع الاستعلاء أطباق وقد ذكرناها، أما الخاء والغين والقاف فلا أطباق فيها مع استعلائها»⁴.

¹ المصدر نفسه، ص 69/1.

² كانتينيو، دروس في علم الأصوات، ترجمة د.صالح القرمادي، نشر مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، تونس 1966، ص 38.

³ سيبويه، الكتاب، المصدر السابق، ص 406/1.

⁴ ابن جني، سر صناعة الإعراب، المصدر السابق، ص 71/1.

نلاحظ أن "ابن جني" انتهى إلى الصلة الموجودة بين الأطباق والاستعلاء وأكدها مع ذكر للحروف التي تنصف بالاستعلاء والأطباق كما هو الحال في الضاد والطاء والصاد والظاء.

أما الحروف المنخفضة فلم يضع لها تعريفا وإنما اكتفى بالقول: إن المنخفضة هي ما عدا الحروف المستعلية السبعة.

(3) الصحيح والمعتل: يرى "ابن جني" أن جميع الحروف العربية صحيحة

ما عدا الألف والياء والواو اللواتي هن حروف المد والاستطالة، ويصرح بأن الألف أشد امتدادا وأوسع مخرجا وهو الحرف الهاوي ويستعمل "الطيب البكوش" وهو من المحدثين مصطلح الإعلال عند الكلام على حروف العلة ويرى أن عبارة حروف العلة تقليدية ولا يضيف شيئا جديدا¹.

(4) المنحرف: وهو الحرف الذي ينحرف فيه اللسان عن النطق مع الصوت،

لأن اللسان ينحرف فيه مع الصوت وتتجافى ناحيتا مستدق اللسان عن اعتراضها على الصوت فيخرج الصوت من تلك الباحثين ومما فريقهما وهو اللام².

وفي العربية حرف منحرف واحد، وقد وصفه "ابن جني" وصفا دقيقا، وكان "سيبويه" قد وصفه تقريبا الوصف نفسه، فقال: « المنحرف وهو حرف شديد جرى فيه الصوت لانحراف اللسان مع الصوت، ولم يعترض على الصوت كاعتراض الحروف الشديدة »³.

أما المنحرف عند المحدثين فيعرفه "عبد الصبور شاهين" ويقول: « إن الصوت يخرج من حافة اللسان حتى تتصل بما جاورها من الأسنان والأضراس »⁴.

(5) المكرر: فقال: « وهو الراء وذلك أنك إذا وقفت عليه رأيت طرفا اللسان

يتعثر فيها فيه من التكرير »¹ ويعرف المحدثون المكرر التعريف نفسه تقريبا، فيرون أن النطق بالراء يتمثل في عدة تراث وارتعاشات في طرف اللسان².

¹ الطيب البكوش، التصريف العربي، المرجع السابق، ص 38

² ينظر: ابن جني، الخصائص، تح: محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة و النشر، بيروت، ج1، ص 72.

³ سيبويه، الكتاب، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 03، 1408هـ-1988م، ص 406/1.

⁴ عبد الصبور شاهين، أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي أبو عمرو بن العلاء، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 01، 1987م، ص 19.

(6) المهتون: ويقصد "ابن جني" بالمهتون حرف الصاء، لما فيه من ضعف وخفاء.

(7) المشرب: ذكر "ابن جني" حروفا مشربق فقال: تحرف في الوقف وتضغط عن مواضعها.

ويسمى حروف القلقة وهي القاف والجيم والطاء والذال والباء وأدرك أنه لا يمكن الوقوف عليها إلا بصوت لشدة الضغط مثل: الحق، اذهب، اخلط، واخرج. ويذكر أيضا حروفا مشربة لكنها لا تضغط الأولى وهي: الزاي والطاء والذال والضاد.

وحروف مشربة لا تسمع بعدها شيئا مما ذكر من ضغط وهي الهمزة والعين والغين واللام والنون والميم.

(8) حروف الذلاقة والحروف المصمتة: ذكر "ابن جني" حروف الذلاقة

وهي « ستة: اللام والراء والنون والفاء والباء والميم كحروف يعتمد عليها بذلق اللسان وهو صدره وطرفه »³، أما المصمتة وهي باقي الحروف وسميت مصمتة أي صمت عنها⁴.

وهكذا بعد دراسة صفات الحروف التي جاء بها "ابن جني"، يتضح لنا أنه سلك مسلك "سيبويه" في تقديمها، وأضاف إلى ذلك تفاصيل وجزئيات في ضبط الصفات وتعليلها كما تكلم عن صفات لم يذكرها من سبقوه أصلا. وبهذا يكون قد مهد السبيل في تلك المواضيع للذين جاؤوا بعده.

7- الحركات عند "ابن جني":

تعد قضية الحركات من أهم الموضوعات التي درسها "ابن جني" في مقدمة كتابة (سر صناعة الإعراب)، حيث علل تسمية الحركات "أصواتا ناقصة" وذكر طبيعتها ودرس مكانها في المرتبة، يقول: « وإنما سميت هذه الأصوات الناقصة حركات لأنها تفلق الحرف الذي تقترن به وتجذب به نحو الحروف التي هي أبعاضها، فالفتحة تجذب الحرف نحو الألف، والكسرة تجذب نحو الياء والضمة

¹ ابن جني، سر صناعة الأعراب، المصدر السابق، ص 72/1.

² كانتينيو، دروس في علم الأصوات، المرجع السابق، ص 38.

³ ابن جني، الخصائص، المصدر السابق، ص 74/1.

⁴ المصدر نفسه، ص 74/1.

تجذب نحو الواو، ولا يبلغ الناطق بها مدى الحروف التي أبعادها فإن بلغ بها مداها تكملته الحركات حروفاً، أعني ألفا وياء و واوا¹.

يقال أن الحركات أبعاد حروف المد واللين وهي الألف والواو والياء فكما أن هذه الحروف الثلاثة، فالحركات ثلاثة وهي الفتحة والضمة والكسرة، وكانوا متقدموا النحويين يسمون الفتحة الألف الصغيرة والكسرة الياء الصغيرة والضمة الواو الصغيرة.

فالحركات عند "ابن جني" أجزاء من حروف المد الثلاثة والتي يصفها بالحروف التامة، عكس الحركات التي هي حروف ناقصة فلولا الألف ما كانت الفتحة، ولولا الياء ما كانت الكسرة ولولا الواو ما كانت الضمة.

وبما أن كل حركة بعض من حروف المد، وأن الحركات والحروف من جنس واحد « فإذا أثبت أن الحركات أبعاد للحروف ومن جنسها² وذلك يعني أن الموضوع موضوع "نطق" وليس موضوع "كتابة" وهذه النقطة مهمة جداً، لأن ذلك يعني أن الحركات أصوات مثل سائر أصوات اللغة العربية.

وقد أقر "ابن جني" أن حروف المد الثلاثة توابع للحركات، ومنتشئة عنه وأن الحركات أوائل هذه الحروف وأجزاء منها، ويأتي بتحليل طويل حول ظاهرة الإشباع، وأن الألف فتحة مشبعة والياء كسرة مشبعة والواو ضمة متبعة.

والإشباع عند "ابن جني" هو يعني مطلق الحركة مطلق قد يؤدي بالحركة إلى الحرف التام، والنتيجة التي يمكن استخلاصها أن الحركات من الناحية الكمية كما يقول الأوائل حروف المد، وبدايات ينشأ عن إشباعها نمو فتصبح تلك الحروف كوامل...³

أما نحن فنستطيع أن نبين أن إشارة هذه القضايا من قبل ابن جني جعلته يضع الخطوات الأولى لدراسات كبيرة جاءت بعده مع ابن يعيش، و... حتى العصر الحديث⁴.

وبعد هذا التدقيق في تسمية الحركات وطبيعتها، ينتقل "ابن جني" إلى دراسة مكان الحركة في المرتبة.

8- التغيرات الصوتية:

¹ المصدر نفسه، ص 30/1.

² المصدر نفسه، ص 316/2.

³ ينظر: ابن جني، سر صناعة الإعراب، المصدر السابق، ص 27/1.

⁴ ابن يعيش، شرح المفصل، عالم الكتب، بيروت، مكتبة المتنبّي، القاهرة، 1978م، ص 67/9.

درس "ابن جني" التغيرات الصوتية مثل سابقه أمثال "سيبويه"، لكنه لم يعالجها في أبواب وإنما عالجها أثناء دراسته للحروف العربية حرفا حرفا، ممهدا بذلك الدرس الصوتي الحديث ونستخلص من معالجته التغيرات الصوتية في محورين كبيرين لتغيرات هما:

أ-الإبدال والقلب.

ب-الإدغام والحذف والوقف والوصل.

أما فيما يخص الظاهرة الأولى (الإبدال والقلب)، فيعرف "ابن جني" الإبدال كما عرفه "سيبويه" وهو إبدال حرف بحرف من حروف البديل العشرة وهي: الهمزة والألف والحاء والياء والواو والتاء والذال والميم والنون والجيم ويضيف إليها حرف الطاء ثم يعلق قائلاً: «ولسنا نريد البديل الذي يحدث مع الإدغام وإنما نريد البديل في غير الإدغام»¹.

أما القلب فهو إبدال حرف بأي حرف آخر من الحروف الباقية والملاحظ أن "ابن جني" أولى اهتماما كبيرا بظاهرة الإبدال حيث ركز عليها تركيزا كبيرا طوال دراسة للتغيرات الصوتية في الحروف العربية، كما نلاحظ لا يفرق بين القلب والإبدال في أغلب الأحيان، حيث نراه يستعمل مصطلح الإبدال تارة ومصطلح القلب تارة أخرى² وأدرك "ابن جني" أن علة التغيرات الصوتية هي تلك الصفات المشابهة بين بعض الحروف.

أما المجموعة الثانية من التغيرات الصوتية من إدغام ووقف وحذف ووصل فهي ظواهر لم يأت فيها "ابن جني" بجديد، فاكتمى بالرجوع في أغلب الأحيان إلى آراء "سيبويه"، فالإدغام هو منطلق الدراسات الصوتية عند النجاة خاصة عند "سيبويه" الذي خصص باب الإدغام في كتابه لدراسة الحروف العربية ومخارجها وصفاتها وتغيراتها، والمقصود بالإدغام تجاوز صوتين متماثلين أو متقاربين وفناء أحدهما في الآخر، ويعرفه "ابن جني" بأنه ظاهرة صوتية بحتة، لأنها تحدث بسبب تأثر الأصوات المتجاورة بعضها ببعض، فيؤثر صوت في آخر فيمنحه صفاته كلها أو بعضها وبهذا يكون الإدغام، ويعد، ابن جني، من بين العلماء الذين تفتنوا لهذه الظاهرة، ويبدو أنه كان أكثرهم إدراكا لطبيعة هذه الظاهرة اللغوية كظاهرة صوتية، فهو يرى أن الإدغام تقريب صوتي³.

¹ ابن جني، سر صناعة الأعراب، المصدر السابق، ص 72/1.

² ينظر: ابن جني، سر صناعة الأعراب، المصدر السابق، ص 281/1.

³ عبد القادر عبد الجليل، الأصوات اللغوية، دار الصفاء للنشر والتوزيع، الأردن، 2018م، ص 299.

وقد ذكر "ابن جني" الإدغام في مواطن عديدة من كتبه، من ذلك ما جاء في كتابه الخصائص¹ إذ قام بتحديد مفهوم الإدغام بأنه تقريب صوت من صوت، فهو ظاهرة تحدث بين الأصوات وتعني التقرب الصوتي ثم حدد أضربه وجعلها ضربين هما.

أ- إدغام المتماثلين: وهو على حد قوله: « أن يلتقي المثلثان على الأحكام التي يكون عنها الإدغام، فيدغم الأول في الآخر، والأول من الحرفين في ذلك ضربين، ساكن ومتحرك فالمدغم الساكن الأصل كطاء قطع، وكاف سكر الأولين والمتحرك نحو: دال شدة ولام معتل²: شد أصلها شدد ومعتل أصلها معتل.

ب- إدغام المتقاربين: ويقول فيه: « أن يلتقي المتقاربين على الأحكام التي يسوغ معها الإدغام، فتقلب أحدهما إلى لفظ صاحبه فتدغمه فيه، وذلك مثل: ود في اللغة التميمية وامحى، واما، واصبر، واثقل عنه³، ود أصلها وتد، وامحى أصلها امتحى، وأماز أصلها امتاز، واصبر أصلها اصتبر.

ثم ذكر "ابن جني" طريقة الإدغام أو كيفية فقال: « ألا ترى أنك في قطع ونحوه قد أخفيت الساكن الأول في الثاني حتى نبا اللسان عنها بنوة واحدة وأزالت الواقعة التي تكون في الأول لو لم تدغمه في الآخر⁴

حدد الهدف من الإدغام بكونه وسيلة للتحقيق والابتعاد عن النقل فيقول: ألا ترى أنك لو تكلفت ترك إدغام الطاء الأولى لتحشمت لها وقفة عليها تمتاز من شدة ممازجتها للثانية بها كقولك قطع وسكر ويضيف: « فإنك أنت أزلت تلك الوقيفة والفترة على الأول وخلطته بالثاني، فكان قرابة منه وإدغامه فيه أسند لجذبه إليه وإحاقه بحكمه⁵.

ثم تحدث عن أصل في الإدغام وهو أن يكون الأول من المثليين متحركاً فيسكن ليدغم في الثاني ويقول في هذا: « فإن كان الأول من المثليين متحركاً ثم أسكنته لتخلطه بالثاني، وتجذبه في مضامته ومماسة لفظه بلفظة بزوال الحركة التي كانت حاجز بينه وبينه، وأما إن كانا مختلفين ثم قلبت وأدغمت، فلا إشكال

¹ ينظر: ابن جني، الخصائص، المصدر السابق، ص 132/2.

² المصدر نفسه، ص 140/2.

³ ابن جني، الخصائص، المصدر السابق، ص 140/2.

⁴ المصدر نفسه، ص 140/2.

⁵ المصدر نفسه، ص 140/2.

في إثارة تقريب أحدهما من صاحبه، لأن قلب المتقارب أوكد من تسكين النظير»¹.

9- فكرة المقطع عند "ابن جني":

لقد ذكر "ابن جني" المقطع عند حديثه عن مخارج الحروف فقال: « اعلم أن الصوت عرض يخرج مع النفس مستطيلا حتى يعرض له في الحلق والقم والشفيتين مقاطع ثنية عن امتداده واستطالته فيسمى المقطع أينما عرض له حرفا وتختلف الحروف بحسب اختلاف مقاطعها»²، كما ذكر أيضا كلمة المقاطع في قوله: « ألا ترى أن العناية في الشعر إنما هو بالقوافي لأنها المقاطع وفي السجع كمثل ذلك »³ وإذا حللنا هذين النصين يتضح لنا أن "ابن جني" استعمل كلمة مقطع ومقاطع لمفهوم غير الذي يعرفه ويفهمه العلماء المحدثون.

فالمقطع عند "ابن جني"، في النص الأول، هو المكان الذي يقطع فيه الهواء عند خروجه من الرئتين ومروره بالحلق والقم والشفيتين، وهذا المفهوم مماثل للمفهوم اللغوي الذي ينص على أن المقطع هو الموضوع الذي يقطع فيه النص من المعابر.

وفي النص الثاني جاء مفهوم المقطع بمعنى الآخر مقطع كل شيء آخره، فمقطع الشعر القوافي ومقطع النثر السجع.

فالمفهومان إذن بعيدان عن المفهوم الحديث لكلمة المقطع، وخلاصة القول هنا أن المقطع كمصطلح لم يكن له مكان بارز وواضح المعالم عند "ابن جني"، بل تحدث عنه بمفهوم مغاير للمفهوم الحديث لهذا المصطلح، وبهذا توصلنا إلى أن "ابن جني" أورد مصطلح المقطع للدلالة على مخرج الحرف، لا للدلالة على المفهوم الحديث للمقطع، إلا أننا نرى أن "ابن جني" كان بتعليقاته لكثير من الصيغ المرفوضة في اللغة العربية يؤكد على أنه كان يفقه فكرة المقاطع وإن لم يذكرها.

ونقول أن "ابن جني" كان يفقه فكرة المقطع لأنه كان يعرف أن العربية نظما تسير عليه وتبني صيغها وفقه، لذلك علل للصيغ المرفوضة بظواهر لغوية كالإعلال والإدغام وغيرها من الظواهر تارة، وتارة أخرى بتعليقات صوتية بسيطة كالثقل وقوة الكلفة في النطق.

¹ المصدر نفسه، ص 140/2.

² ابن جني، سر صناعة الإعراب، المصدر السابق، ص 19/1.

³ ابن جني الخصائص، المصدر السابق، ص 84/1.

ومن هنا يقول "ابن جني": « إن ياء نحو ميزان وميعاد انقلبت عن واو ساكنة لثقل الواو الساكنة بعد الكسرة، وهذا أمر لا بأس في معرفته، ولا شك في قوة الكلفة في النطق به ويضيف قلب الياء في موسر وموقن واوا لسكونها واضمام ما قبلها، ولا توقف في ثقل الياء الساكنة بع الضمة لأنها حالها في ذلك حال الواو الساكنة بعد الكسرة، ثم يقول في ذلك وهذا -كما نراه- أمر يدعو الحش إليه ويحدو طلب الاستخفاف عليه»¹.

من هذا القول نستنتج أن "ابن جني" كان يفقه أن هناك نظاما يقيد الصيغ العربية فعلى رفض موعاد يثقل الواو الساكنة بعد الكسرة وعلى رفض ميسر لثقل الياء بعد الضمة، وقال أن هذا الرفض أمر يدعو الحش إليه وللتوضيح أكثر نشير إلى مثال آخر.

يقول "ابن جني": « ومن ذلك تسكينهم لام الفعل إذا اتصل به علم الضمير المرفوع نحو: ضربين و ضربين وضربنا، وذلك أنهم أجروا الفاعل هنا مجرى الجزء من الفعل فكرة اجتماع الحركات الذي لا يوجد في الواحد، فأسكنوا اللام اصطلاحا للفظ فقالوا: ضربت»².

أذل "ابن جني" علل تسكين لام الفعل عند اتصاله بعلم الضمير المرفوع بكره اجتماع الحركات، أما الدرس الحديث فيعلل تسكين اللام هنا بعد جواز توالي أربعة مقاطع من النوع الأول في النظام المقطعي العربي.

10- النبر عند "ابن جني":

رغم ورود مصطلح النبر في البحوث الصوتية القديمة إلا أنه يعني الصمت أي تحقيق نطق الهمزة، ولم يدرس على أنه الضغط على بعض مقاطع الكلام. أما "ابن جني" فقد جاء في كتابه "الخصائص" في باب (في مطل الحركات): « وإذا فعلت العرب ذلك أنشأت عن الحركة حرفا عن جنسها، فتنشئ بعد الفتحة الألف وبعد الكسرة الياء وبعد الضمة الواو»³، ثم يمثل لذلك ويقول: « الألف المنشأة عن إشباع الفتحة ما حكاه القراء عنهم: "أكلت لحما شاة" أراد لحم شاه فتمطل الفتحة فأنشأ عنها ألفا»⁴.

¹ المصدر نفسه، ص 49/1.

² ابن جني، الخصائص، المصدر السابق، ص 273/1.

³ المصدر نفسه، ص 121/1.

⁴ المصدر نفسه، ص 123/3.

ويضيف: « ومن إشباع الكسرة ما جاء عنهم في الصيار في المطافيل والجلاليد¹ ». والمقصود بها الصيارف والمطافل والجلاليد.

أما عن مطل الضمة فيقول: « ومن مطل الضمة القرنفل² » والمراد القرنفل، وذكر "ابن جني" أيضا أن الحركات عن التذكر يمطلان حتى يفين حروفا وذلك كقولهم عن التذكر مع الفتحة: قمت، قمتا أي قمت يوم الجمعة ونحو ذلك ومع الكسرة قمتي أي أنت عاقلة ونحو ذلك ومع الضمة قمتو في قمت إلى زيد ونحو ذلك.

فالمطل عند "ابن جني" فيما أورد: هو زيادة قوة الارتكاز بالإشباع أو التضعيف، إذا علمنا أن الألف ضعف الفتحة والياء ضعف الكسرة والضمة ضعف الواو والقصد من هذا الإشباع زيادة الضغط على مقطع من المقاطع لإبرازه في السمع لتحقيق غرض قصدي³.

وهناك في كتاب الخصائص إشارة أخرى إلى النبر حين يتكلم "ابن جني" عن حذف الصفة إذ يقول: « وقد حذفت الصفة ودلت الحال عليها وذلك فيما حكاه صاحب الكتاب ومن قولهم: سير عليه ليل وهم يريدون، ليل طويل، وكأن هذا إنما حذفنا فيه الصفحة لما دل من الحال على موضعها، وذلك أنك تحس في كلام القائل لذلك من التطويح والتطريح والتفخيم والتعظيم ما يقول مقام قوله: طويل أو نحو ذلك⁴ ».

فكلمات "ابن جني" الواردة في هذا النص: التطويح والتطريح والتفخيم والتعظيم تشير إلى النبر ويتضح هذا من خلال معانيها، فكلمة التطريح تعني تطويل الشيء ورفع وإعلائه والتطويح من طوح به ذهب هنا وهناك، أما التفخيم فهو عند اللغويين المحدثين ظاهرة صوتية تحدث عند حركة عضوية تعطي للصوت قيمة صوتية مفخمة.

ومن خلال عرضنا لمفاهيم هذه الكلمات نجد اتفاقا لهذه المفاهيم مع مفهوم النبر بمعناه الحديث، فهو أيضا عملية عضلية يقصد بها ارتفاع الصوت وعلوه⁵.

¹ المصدر نفسه، ص 123/3.

² المصدر نفسه، ص 123/3.

³ عبد القادر عبد الجليل الأصوات اللغوية، المرجع السابق، ص 241.

⁴ ابن جني، الخصائص، المصدر السابق، ص 370/2-371.

⁵ صالح سليم عبد القادر الفاخري، الدلالة الصوتية في اللغة العربية، المؤسسة الثقافية الجامعية، الإسكندرية، مصر، 2007م، ص 197.

وكذلك نقول: "سألناه فوجدناه إنساناً!" وتمكن الصوت بـ (إنسان) وتفخمه فتستغني بذلك عن وصفه بقولك: إنساناً سمحاً أو جواداً أو نحو ذلك، وكذلك إن ذمته ووصفته بالضيق قلت: سألناه وكان إنساناً! وتروي وجهك وتقطبه فيغني ذلك عن قولك: إنساناً لئيماً ولحزاً أو مبخلاً أو نحو ذلك¹.

فتعيين "ابن جني" اللام في كلمة (رجلاً) لتكون محلاً للتمطيط والإطالة، يدل بوضوح على أن هذه القوة والتمكن في النطق لا تقع على جميع مقاطع الكلمة وإنما على جزء منها، وكذلك يكون الجزء المنبور أطول منه حين يكون غير منبور، وهناك علاقة بين النبر وطول المقطع وهو ملحوظ لم يفت ابن جني التنبيه عليه بقوله (إطالة الصوت بها).

وهكذا يكون "ابن جني" قد أدرك النبر بمفهومه الحديث من حيث طول الصوت وعلوه قوته، وإن لم يذكر بلفظه ووصفه دلاليًا أغنى عن التصريح بالأوصاف².

11- التنغيم عند "ابن جني":

قبل الحديث عن مدى وعي "ابن جني" ومعرفته للتنغيم ودوره، ينبغي أن نشير هنا إلى أن التنغيم وثيق الصلة بالنبر، فلا يكون التنغيم إلا على مقطع منبور.

وها هو "تمام حسان" يقول: «إن هبوط النغمة أو صعودها أو تحولها عن المستوى السابق في وسط الكلام أو في آخره، لا يكون إلا متفقاً مع النبر، فلا تتحول النغمة هذا التحول إلا على مقطع منبور، وهذه الصلة بين النبر والتنغيم لا يمكن انفكاكها، ولذلك يكثر أن يقف المرء عند أحد المعاني باحثاً عما وظيفة النبر بمفرده أو التنغيم بمفرده ثم لا يستطيع الجزم بأنه وظيفة أحدهما على انفراد»³.

و"تمام حسان" على حق عندما قال أن المرء يقف عند أحد المعاني باحثاً عما إذا كان للنبر التنغيم، فكثير ما نجد نص "ابن جني" في حديثه عن (حذف الصفة) شاهد على وعيه بظاهرة النبر تارة⁴ وعلى وعيه بظاهرة التنغيم تارة أخرى⁵. ولنا أن نقول أن هذا النص شاهد على وعي "ابن جني" بالظاهرتين معاً،

¹ ينظر: ابن جني، الخصائص، المصدر السابق، ص 371/2.

² ينظر: عبد المجيد مجاهد، علو اللسان العربي، الشركة العربية المتحدة، القاهرة، مصر، دط، 2010، ص 33-34.

³ تمام حسن، اللغة العربية مبناها ومعناها، المرجع السابق، ص 230.

⁴ عبد المجيد مجاهد، المرجع السابق، ص 33.

⁵ كمال بشر، علم الأصوات، المرجع السابق، ص 551.

فالتنغيم أثناء أدائه لوظيفية الدلالية السياقية عادة ما يصاحبه بنبر قوي أو ظواهر خارجية كالإشارات الجسمية.

ونقف على نص آخر "لابن جني" يؤكد على أنه كان على وعي بظاهرة التنغيم في العربية ودورها الكبير في تحديد دلالات الكلام وذلك تحت عنوان (باب في نقص الأوضاع إذا ضامها طارئ عليها) يقول فيه: « ومن ذلك لفظ الاستفهام إذا ضامه معنى التعجب ستحال خبرا وذلك قولك: مررت برجل أي رجل، فأنت الآن مخبر يتناهي الرجل في الفضل ولست مستفهما وكذلك مررت برجل أيما رجل لأن ما زائدة، وإنما كان ذلك لأن أصل الاستفهام الخبر، والتعجب ضرب من الخبر، فكأن التعجب لما طرأ على الاستفهام إنما أعاده إلى أصله من الخبرية، ومن ذلك لفظ الواجب إذا لحقه همزة التقرير عاد انفيا، وإذا لحقت لفظ النفي عاد ايجابيا وذلك قوله تعالى: "...أأنت قلت للناس...»¹ أي ما قلت لهم.

وأیضا قوله تعالى: ﴿...قل الله أذن لكم...﴾² أي لم يأذن لكم وأما دخولها على النفي كقوله تعالى: ﴿...أأست بربكم...﴾ أي أنا كذلك³.
وقد أشار "كمال بشر" إلى كلمة النغم الواردة في كلام "ابن جني" في مقدمة كتابه (سر صناعة الإعراب) حين قال: « أعني علم الأصوات والحروف له تعلق ومشاركة للموسيقى لما فيه من صنعة الأصوات والنغم »⁴ فالتعبير بمصطلح (النغم) فيه دلالة واضحة على إدراكه أن الكلام المنطوق يصدر منغما جزء لا يتجزأ من خواص الكلام⁵.
وخلاصة القول أن "ابن جني" وإن لم يستعمل مصطلح التنغيم إلا أن كلامه تضمن مفهومه مما دل على وعيه به ومعرفة دوره في عملية الفهم والإفهام.

12- المماثلة عند "ابن جني":

ذكر العلماء المحدثون أن العلماء القدماء قد تفتنوا لهذا النوع من التأثير الصوتي الذي يحدث بين الفونيمان، ومن هؤلاء القدماء بالطبع عالمنا الذي هو محور بحثنا "ابن جني" الذي عالج ظاهرة المماثلة في كتابه "الخصائص" تحت

¹ سورة المائدة، الآية 116.

² سورة يونس، الآية 59.

³ ينظر: ابن جني، الخصائص، المصدر السابق، ص 269/3.

⁴ ابن جني، سر صناعة الإعراب، المصدر السابق، ص 22/1.

⁵ كمال بشر، علم الأصوات، المرجع السابق، ص 550.

باب (الإدغام الأصغر) وهو عنده تقريب الحرف من الحرف وإدناؤه من غير إدغام يكون هناك.

ولنا أن نشير إلى بعض الأمثلة التي أوردها "ابن جني" عن المماثلة أو كما أطلق عليها هو الإدغام الأصغر.

لقد وجد ابن جني الإدغام الأصغر ضروريا ومنها:

أ.الإمالة: ويقول عنها: "إنما وقعت في الكلام لتقريب الصوت من الصوت وذلك نحو عالم الأتراك قربت فتحة العين إلى كسرة اللام بأن نحوت بالفتحة نحو الكسرة فأملت الألف نحو الياء.

ب. ومنها: « إذا وقعت فاء افتعل صادًا أو ضادا أو ظاء لها ثاء طاء وذلك نحو اصطبر، واصطرب، واطرد وضطم، فهذا تقريب من غير ادغام فأما (الطرد) فمن ذلك الباب أيضا، ولكن ادغامه وردها هنا التقاطا لا قصدا»¹.

ت. ومنها: « إذا وقعت فاء افتعل زايا أو دالا أو ذالا فتلب أو فتقلب تاؤه دالا كقولهم ازدان، وادكر»².

ث. ومنها: « إذا وقعت الشين قبل الحرف المستدلي فتقرب منه بقلبها صادًا وذلك كقولهم في: سقت وفي السوق: السوق»³.

ج.ومن ذلك أيضا، تقريب الحرف من الحرف نحو قولهم مصدر: مزدر وفي التصدير التزدير.

ومن الملاحظ أن الأمثلة التي أوردها "ابن جني" كلها تنطوي تحت لواء المماثلة الرجعية بحيث يؤثر الحرف اللاحق في الحرف السابق.

وخلاصة القول تشير إلى أن "ابن جني" قد تفتن لظاهرة المماثلة التي تحدث بين الأصوات وإن لم يسمّها بهذا الاسم وأطلق عليها اسم الإدغام الأصغر، إلا أنه كان يعلم بأنها ليست مثل الإدغام، إنما فيها ما يشبه الإدغام وهو تقريب الصوت من الصوت مثلما يحدث في الإدغام المألوف.

13- المخالفة عند "ابن جني":

لقد أشار "ابن جني" لهذه الظاهرة أي المخالفة في باب (قلب اللفظ إلى لفظ بالصنعة والتلطف بالأقدام والتعجرف)⁴ ومما جاء في هذا قوله: « قول العرب

¹ ابن جني، الخصائص، المصدر السابق، ص 141/2.

² المصدر نفسه، ص 141/2-142.

³ المصدر نفسه، ص 142/2.

⁴ المصدر نفسه، ص 78/2-81.

(تسربت) من لفظ (س ر ر) وقد أحالته الصنعة إلى لفظ (ساري) ومثله (قصيت أظفري) هو من لفظ (ق ص ص) وقد آل بالصنعة إلى لفظ (ق ص ي) وكذلك قوله (تقضي الباز إذا البازي كسر) وهو في الأصل من تركيب (ق ض ض) قم أحاله ما عرض من استئقال تكريره إلى لفظ (ق ض ي) "...، وكذلك قولهم (تلغيت) من اللعاعة وأصلها (ل ع ع) ثم صارت بالصنعة إلى لفظ (ل ع ي)¹ ويلاحظ هنا أن "ابن جني" قد قام بذكر أمثلة دون أن يقدم أي تعليل لقلب لفظ إلى لفظ آخر سوى الصنعة والتلطف، وهي بحث الناطق العربي عن لفظ أكثر صنعة وانسجاما بين أصواته وميله إليه.

14- القلب المكاني عند "ابن جني":

عالج "ابن جني" ظاهرة القلب المكاني في كتابه (الخصائص) تحت (باب في الأصلين يتقاربان في التركيب بالتقديم والتأخير). ويرى ابن جني أنه إن وجد لفظان فيهما تقديم وتأخير فأمكن أن يكونا جميعا أصلين ليس أحدهما مقلوبا عن صاحبه، فهو القياس الذي لا يجوز غيره، وإن لم يكون ذلك حكمت بأن أحدهما مقلوب عن صاحبه، ثم رأيت أيهما الأصل وأيهما الفرع².

وطريقة إلى معرفة اللفظين أصلين أحدهما مقلوب عن الآخر هو البحث عن تصريفاتها فإن كان يتصرفان تصرفا واحدا كان أصلين وإن قصر أحدهما عن تصرف الآخر كان أوسعها تصرفا أصلا والآخر مقلوبا عنه. وقد أعطى "ابن جني" أمثلة عديدة يوضح فيها ذلك ومنها:

« مما تركيباه أصلا لا قلب فيهما قولهم: جذب وجذب، ليس أحدهما مقلوبا عن صاحبه، وذلك أنهما جميعا يتصرفان تصرفا واحدا نحو: جذب، بجذب جذبا فهو جاذب والمفعول مجذوب، وجذب يجذب جذبا فهو جابذ والمفعول مجبوز³. ويضيف قائلا: « فإن جعلت من هذا أحدهما أصلا لصاحبه فسد ذلك، لأنك لو فعلته لم يكن أحدهما بأسعد بهذه الحال من الآخر⁴. »

ومما كان أحدهما مقلوبا عن الآخر قوله: وذلك كقولهم: « أنى الشيء يأتي وأن يئين فأن مقلوب عن أنى"، والدليل على ذلك وجودك مصدر أنى بأنى وهو

¹ ابن جني، الخصائص، المصدر السابق، ص 90/2-91.

² ينظر: المصدر نفسه، ص 69/2.

³ المصدر نفسه، ص 69/2-70.

⁴ المصدر نفسه، ص 70/2.

الإني ولا تجد لأن مصدرا، ومن المقلوب قولهم: امضحل وهو مقلوب اضحل
ألا ترى أن المصدر إنما هو على اضحل وهو الاضمحلال ولا يقولون
امضحلال»¹.

أما في (جاه ووجه) فقد ذهب إلى أن "الفراء" يرى أن جاه مقلوب من الوجه
وكذلك "أبو علي" يرى ذلك. وقال: ولما أعلوه بالقلب أعلوه أيضا يتحرك عينه
ونقله من فعل إلى فعل (يريد أنه) صار من وجه إلى جوه، ثم حركت عينه فصار
إلى جوه ثم أبدلت عينه لتحركها وانفتاح ما قبلها فصار (جاه).

وخلاصة القول: "ابن جني" وإن كان قد تطرق لظاهرة القلب المكاني، إلا
أننا نلاحظ أولا لم يطلق عليه اسم القلب المكاني، بل كان ينعته بالقلب مطلقا
وهذا المصطلح قد يختلط مع مصطلح القلب المراد منه الإعلال أو الإبدال، وثانيا
نلاحظ أن "ابن جني" قد اعتمد في تفسير أمثله والبحث عن أسباب القلب المكاني
الذي وقع فيها على الجانب الصرفي للكلمة وأغفل الجانب الصوتي، الذي له
الحظ الوفير في تفسير ظاهرة القلب المكاني.

15- التوافق الحركي عند "ابن جني":

لقد أشار "ابن جني" إلى ظاهرة التوافق الحركي في كتابه الخصائص وذلك
في باب (الإدغام الأصغر)، فقال: «تقريب الصوت من الصوت مع حروف
الحلق نحو شعير و بعير ورغيف وزئير الأسد ومن ذلك قولهم: فعل يفعل مما
عينه أو لامه حرف حلقي نحو سال، يسأل وقرا يقرأ وسعر يسعر وذلك أنهم
ضارعوا بفتحة العين في المضارع جنس حرف لخلق لما كان موضعا منه
مخرج الألف التي منها الفتحة»².

والجدير بالذكر أن نشير إلى أننا قد ذكرنا باب الإدغام الأصغر في التمثيل
للمماثلة عند "ابن جني" وها نحن نذكره هنا للتمثيل عن التوافق الحركي، وما
كان هذا إلا لأن التوافق الحركي ضرب من المماثلة، وهو مماثلة تقع بين
الصوائت دون الصوامت في حين أن المماثلة تقع بين الصوامت والصوائت معا.
ويتضح لنا أن "ابن جني" مثله مثل العرب الذين كانوا حريصين على توافق
الصوائت في الكلمة الواحدة، وإنهم قد أدركوا مثلا أن الكسرة التي تلي الهمزة

¹ ابن جني، الخصائص، المصدر السابق، ص 73.

² إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، دت، ص 86.

الوصل لا تتوافق مع الضمة التي تلي الصامت الثالث لذلك قلبوا الكسرة ضمة لتتوافق مع الضمة¹.

ملخص القول حول المباحث الصوتية عند "ابن جني":

تطرق "ابن جني" في الدراسة العلمية للدرس الصوتي إلى مجموعة من النتائج حصرناها في نقاط توجنا بها هذا البحث لعلها تكون بداية لبحوث أخرى ومن أهم النتائج نذكر:

1. أن "ابن جني" قد فرّق بين الصوت والحرف، لكن ليس كتفريق المحدثين بينهما، مما جعله كثيراً ما يستعمل المصطلحين لمفهوم واحد، وقد تفتن لفكرة الفونيم، وأدرك أهمية الفونيمات في تحديد الدلالة والمعاني وأدرك أن تغير الفونيمات يؤدي بالضرورة إلى تغيير المعاني.

2. أن المقطع أيضاً من المصطلحات والمفاهيم التي كان يفقها "ابن جني" وإن لم يذكرها ولم يسجل لها، إلا أن له تعليقات كثيرة لصيغ مرفوضة أدخلها ضمن مسميات متعددة: كالإعلال والإبدال، ومنع التقاء الساكنين وغيرها في حين أن الدرس الصوتي الحديث أكد رفضها لخروجها من النظام المقطعي العربي.

3. أشار "ابن جني" إلى النبر في دراسته وهذا عند حديثه عن حذف الصفة وإن لم يصطلح على الظاهرة التي وصفها بمصطلح معين، إلا أن ما قاله ووصفه يدل دلالة واضحة على ما تسميه الدراسات الحديثة بالنبر أما التنغيم فقد أشار إليه أيضاً دون أن يصطلح عليه بمصطلح معين واكتفى بوصفه فقط.

4. تعد المماثلة من التغيرات الصوتية التي تحدث نتيجة تأثر صوت بآخر يجاوره وقد تفتن "ابن جني" إلى هذا النوع من التأثير ودسه في كتابه الخصائص في باب الإدغام الأصغر وله عدة تعليقات صوتية.

5. المخالفة عكس المماثلة، وهي ظاهرة هدفها زيادة مدى الخلاف بين الصوتين اللذين أثر أحدهما في الآخر، ومن الملاحظ أن "ابن جني" قد تعرض لها النوع من التغيرات الصوتية في كتابه الخصائص في باب (قلب اللفظ بالصيغة والتلطف لا بالأقدام والتعجرف) إلا أنه لم يعلل لها.

6. القلب المكاني من التغيرات الصوتية التي تحدث في الصيغ الصرفية وقد علاجها "ابن جني" في باب (الأصلين يتقاربان في التركيب بالتقديم والتأخير) إلا

¹ ابن جني، الخصائص، المصدر السابق، ص 143/2.

أنه اعتمد في تفسيرها على الجانب الصرفي، وأهمل الجانب الصوتي الذي له الحظ الوفير في تفسير هذه الظاهرة.

7. التوافق الحركي هو مماثلة تقع بين الصوائت دون الصوامت وقد أشار

إليه "ابن جني" في الخصائص وذكرنا بعض الأمثلة للتمثيل لا الحصر.

8. الإدغام من الظواهر اللغوية التي حظيت بدراسات مستفيضة منذ بدايات

الدراسات اللغوية ولابن جني دراسات جادة لهذه الظاهرة وله عليها تعليلا صوتية كثيرة ويمكن القول أن لابن جني فضل السبق في تقديم تعليقات صوتية لهذه الظاهرة.

ومن النتائج التي توصلنا إليها ونلحّ عليها: ضرورة العودة والاهتمام بالتراث اللغوي العربي ومحاولة استنطاقه، المعرفة القضايا التي توصل إليها القدماء وما زالت لم تجد النور في الدراسات الحديثة، أو المعرفة القضايا الحديثة التي لها جذور في الدراسات القديمة.

المبحث الثاني: المباحث الصوتية عند "إبراهيم أنيس":

لقد بذل العلماء المحدثون جهودا كبيرة في هذا المجال وألّفوا فيه مؤلفات عديدة مستفيدين ممن سبقوهم من العلماء، القدماء، بل وجدنا من هؤلاء المحدثين الذين برعوا في تأليف كتبهم العلمية والمراجع المختلفة، ونقلوا خبرات علماء الفن المحدثين في الغرب إلى ساحة الأصوات العربية الحديثة بدءا بالدكتور "إبراهيم أنس"، والذي جسد نظرياته في هذا المجال في كتابه (الأصوات اللغوية) بل يعد هذا المرجع أول ما كتب في علم الأصوات العربية في العصر الحديث، وساهم كذلك علماء آخرون أمثال الدكتور "كمال بشر"، و"تمام حسان"... وسنفضل الحديث في هذا المبحث عن العالم "إبراهيم أنس" ومجهوداته في درس الصوت العربي.

1- ظاهرة الصوت:

الصوت ظاهرة طبيعية ندرك أثرها دون أن ندرك كنهها، فقد أثبت علماء الصوت بتجارب لا يتطرق إليها الشك أن كل صوت مسموع يستلزم وجود جسم يهتز كما أثبتت التجارب الحديثة، تنتقل هذه الهزات عبر الهواء في وسط غازي، أو سائل صلب على شكل موجات حتى تصل إلى الأذن الإنسانية، وسرعة الصوت حسب تقدير العلماء حوالي 332 مترا في الثانية، أي المدة الزمنية التي

يستغرقها الصوت من مصدره إلى الأذن ووضوح الصوت أو ارتفاعه تتعلق بقرب مصدره للأذن، وتتوقف شدته على سعة اهتزاز الجسم مصدر الصوت¹. والصوت ليس على درجة واحدة، فقد يكون عميقا وقد يكون رفيعا حادا كما هو على المقياس الموسيقي الأوروبي، وتتوقف درجة الصوت كما برهن علماء الأصوات على عدد الاهتزازات أو الذبذبات، فالصوت العميق عدد اهتزازاته في الثانية اقل من الصوت الحاد². كما أنه وضع ذلك بمثال السلم الموسيقي الأوروبي: do-re-mi-fa-sol-la-si.

إذ كان يعتبر دراسة الأصوات اللغوية، أول خطوة في أي دراسة لغوية لأنها تعتبر أصغر وحدات اللغة، ويعني بها الصوت الذي هو المادة الخام للكلام الإنساني، عكس اللغويون العرب القدامى، فلم ينظروا إلى الدراسة الصوتية هذه النظرة، ولم يعالجوا الأصوات علاجا مستقلا بذاته، وإنما تناولوها دائما مختلطة بغيرها من البحوث.

2- الصوت الإنساني:

وهو ككل الأصوات ينشأ من ذبذبات مصدرها في الغالب المنجز لدى الإنسان³، فعند اندفاع النفس من الرئتين يمر بالحنجرة فيحدث تلك الاهتزازات التي بعد صدورها من الفم أو الأنف، تنتقل خلال الهواء الخارجي على شكل موجات حتى تصل إلى الأذن، ولكن الصوت الإنساني معقد، إذ يتركب من أنواع مختلفة في الشدة ومن درجات صوتية متباينة، كما أن لكل إنسان صفة صوتية خاصة تميز صوته من صوت غيره من الناس، فليس صوت الإنسان في أثناء حديثه ذا شدة واحدة أو درجة واحدة.

فالإنسان حين يتكلم تتغير درجات صوته عند كل مقطع تقريبا، وتتوقف درجة الصوت على سن المرء وجنسه حسب طول الوترين الصوتين وضخامتهما، فالنساء والأطفال أحد أصواتا من الرجال، لأن الوترين الصوتين عندهما أقل ضخامة، وطول الوترين الصوتين في الإنسان البالغ حوالي 23

¹ ينظر: إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، المرجع السابق، ص 05

² ينظر: المرجع نفسه، ص 06-07.

³ المرجع نفسه، ص 10.

مليمترا، ويمتد أحيانا إلى 27 مليمترا، أما عدد الذبذبات في الحنجرة كما قدرها جمهور علماء الأصوات يتراوح بين 60 و 1300 في الثانية¹.

وقد لخص "إبراهيم أنيس" العوامل التي تؤثر في درجات الصوت الإنساني فيمالي:

أ. السيطرة على الهواء المندفع من الرئتين، وتحديد نسبة ما يندفع منهما حسب الإرادة.

ب. مرونة عضلات الحنجرة، فكلما ازدادت مرونة كثرت الذبذبات وازداد الصوت حدة.

ج. يؤثر طول الوترين الصوتيين في درجة الصوت تأثيرا عكسيا، فكلما طال الوتران الصوتيان قلت الذبذبات.

د. الصوت المنبعث من ذبذبة وترين مشدودين شدا معكما يكون صوتا حادا في حين أن غلظتهما في الرحال تقلل من نسبة توترهما مما يجعل درجة الصوت عند الرجال عميقة.

ر. فراغ الأنف وفراغ الحلق والفم، كلها تستغل في تضخيم الصوت ومنحه صفة خاصة به تميزه عن غيره من الأصوات، ومرور تلك الذبذبات خلال الفراغات يكسبها لونا خاصا بها، ويساعد على تمييز أصوات الأصدقاء عن غيرها².

3- كيف بدأ الصوت اللغوي:

يرى "إبراهيم أنيس" أن البحث في بداية الصوت اللغوي عند الإنسان بحث طويل اضطربت فيه أقوال القدماء والمحدثين على أن مرحلة الكلام عند الإنسان متأخرة إذا قيست بتطوره فوق سطح البسيطة، وهم يرجحون أن الإنسان الأول قد حاول النطق في عصوره الحجرية، وكان الدافع الأول. فقد نمت فيه قوة السمع قبل قوة النطق، فسمع الأصوات الطبيعية حوله، مرحلة متأخرة، جاءت بعد أن حاول هو النطق أولا، ولم يكن لنطقه الأول غرض خاص يرمي إليه بل كان عفوا³.

فالحياة الاجتماعية منذ نشأة الإنسان هي التي ساعدت إلى حد كبير على نمو لغته ولكن العامل الأكبر لرقى هذه اللغة وبلوغها ما بلغت، هو ما امتاز به

¹ إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، المرجع السابق، ص 11.

² ينظر: المرجع نفسه، ص 12

³ المرجع نفسه، ص 13

الإنسان من ذكاء لم يشركه فيه غيره من الحيوانات، فكثير من الحيوانات تعيش حياة اجتماعية، فلا غرابة إذن أن سمي القدماء الإنسان حيوانا ناطقا، مريدين بهذا أنه حيوان ذكي ذو قوة عقلية خارقة.

4- أهمية السمع في إدراك الصوت اللغوي:

السمع هو الحاسة الطبيعية التي لا بد منها لفهم تلك الأصوات التي يصدرها الإنسان، فتنتقل خلال الهواء الخارجي على شكل موجات حتى تصل إلى الأذن الإنسانية، وبعدها إلى المخ لترجمتها وتفسيرها، والسمع أقوى من جميع الحواس الأخرى وأعمها نفعاً¹.

وقد حاول "إبراهيم أنيس" أن يلخص مزايا السمع في النقاط التالية²:

- إدراك الأصوات اللغوية عن طريق الحواس يدع سائر الأعضاء حرة بحيث يمكن الانتفاع بها في الحاجات الأخرى، فعندما يتفاهم الإنسان بالإشارة لا بد من تشغيل يديه أو بعض أطرافه، فبذلك يصرفها عن وظائفها الأصلية التي خلقت لأجلها.

- تدرك الأصوات عن طريق السمع من مسافة قد لا يستطيع النظر عندها إدراكها، فحين تحول موانع من جبال أو جدران لا يستطيع المرء استخدام حاستي النظر أو الشم، لكن الأذن تدرك الأصوات واتجاهاتها.

- تستخدم حاسة السمع ليلا ونهارا، في الظلام والنور، أما حاسة النظر فلا تعمل إلا في النور، ويستحيل كذلك التفاهم بالإشارة في الظلام.

والأهم من ذلك أن الإنسان استطاع أن يدرك عن طريق السمع أفكارا أرقى وأسس مما يدركه بالنظر.

وأخيرا قدم "إبراهيم أنيس" مثالا لإدراك فضل السمع على سائر الحواس، وهو أن نقارن بين ما يمكن أن يصل إليه إنسان فقد بصره من رقي عقله وبين آخر أصم، فالنبوغ والذكاء كثيران بين العمي في حين أنهما نادران بين الصم، ولربما لم يستغل الإنسان حاسة السمع الاستغلال الكافي في العصور القديمة، أما الآن بعد اكتشاف الآلات الحديثة كالراديو أمكن أن يصبح السمع من أهم وسائل التثقيف الشعبي.

هذا ما تحدث به "إبراهيم أنيس" عن أهمية السمع في إدراك الصوت اللغوي، ثم بعد ذلك تحدث عن آلة السمع وهي الأذن، لكنه قدم وصفا لها بشكل

¹ إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، المرجع السابق، ص 15.

² المرجع نفسه، ص 15.

مختصر جدا، وقد يكون معذورا في لأن موضوع الكتاب الرئيسي هو علم الأصوات النطقي، أما بقية أقسام على الأصوات العام اللذان هما: علم الأصوات الفيزيائي (الأكوستيكي)، وعلم الأصوات السمعي.

الأذن كما عرفها بعض المحدثين: « هي أداة السمع، أو جهاز الالتقاط الذي يتلقى الإشارة الصوتية ويحولها إلى حركة تدب عبر الأعصاب وتنتقل إلى الجهاز العصبي المركزي »¹.

ويرى "إبراهيم أنيس" أن الأذن الإنسانية معقدة التركيب، يقسمها علماء التشريح إلى ثلاثة أقسام:

- **الأذن الخارجية:** وتتركب من صيوان الأذن وصماخها، وتنتهي بما يستحي بطبلة الأذن.

- **الأذن الوسطى:** تحتوي على ثلاث عظيمات صغيرة تدعى: المطرقة والسندان والركاب.

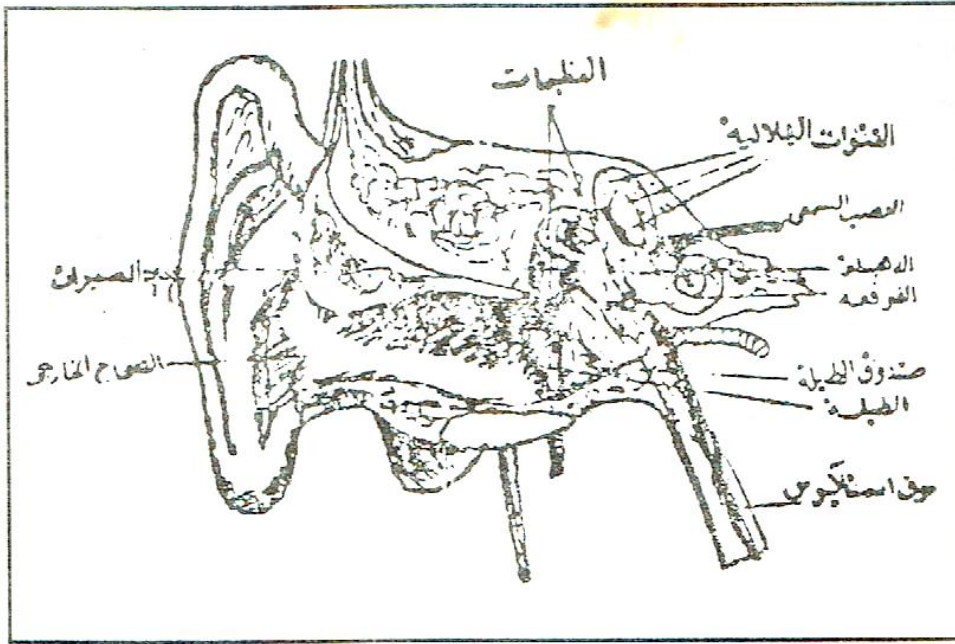
- **الأذن الداخلية:** وتتمركز فيها أعضاء السمع الحقيقية، لانتشار ألياف العصب السمعي بأجزائها، وفيها (السائل التيهي) الذي تنغمس فيه الأعصاب السمعية².

وقدم "إبراهيم أنيس" رسما توضيحيا للأذن مع الإشارة إلى أماكن تلك الأعضاء السمعية ثم أضاف بأن الصيوان يستقبل التموجات التي تحدثها الأصوات في الهواء الخارجي، ثم تمر التموجات في القناة السمعية الخارجية إلى أن تصل إلى الغشاء الطبلي، فيهتز اهتزازات مناسبة لتلك التموجات، بعد ذلك تصل هذه الاهتزازات إلى الأذن الداخلية، بواسطة العظيمات الثلاث، ثم تسري هذه الاهتزازات في السائل التيهي، فتحدث به ذبذبات مناسبة لها، فتنبه أطراف الأعصاب المغموسة فيه، ثم تنتقل هذه الأعصاب ما تشعر به أطرافها إلى المراكز السمعية في المخ، وبعد ذلك ندرك الأصوات³.

¹ أحمد عمر مختار، دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، القاهرة، 1937م، ص 46.

² ينظر: إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، المرجع السابق، ص 16

³ المرجع نفسه، ص 16.



(شكل ١) أجزاء الأذن

الرسم التخطيطي يوضح أجزاء الأذن¹

5- أعضاء النطق:

رأى "إبراهيم أنيس" أن يبدأ بشرح أعضاء النطق وأجزائها المتباينة قبل أن يعرض لدراسة الأصوات اللغوية وما تتركب منه، وقدم رسماً توضيحياً لأماكن تلك الأعضاء التي تنتج الأصوات، ثم قام بشرحها²:

أ- **القصبه الهوائية:** وفيها يتخذ النفس مجراه قبل اندفاعه إلى الحنجرة، وقد كان يظن قديماً أن لا أثر لها في الصوت اللغوي، بل هي مجرد طريق للتنفس.

ب- **الحنجرة:** عبارة عن حنجرة متسعة نوعاً ومكونة من ثلاث غضاريف الأول أو العلوي منها ناقص الاستدارة من خلق وعريض بارز من الإمام ويعرف الجزء البارز منه بتفاحة آدم، أما الغضروف الثاني فهو كامل الاستدارة، والثالث مكون من قطعتين موضوعتين فوق الغضروف الثاني من حلق.

ج- **الحلق:** وهو الجزء الذي بين الحنجرة والفم، وهو فضلا عن أنه مخرج لأصوات لغوية خاصة، يستغل بصفة عامة كفراغ رنان يضخم بعض الأصوات بعد صدورها من الحنجرة.

¹ إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، المرجع السابق، ص 17.

² ينظر: المرجع نفسه، ص 19-20.

د- اللسان: عضو هام في عملية النطق، لأنه مرن وكثير الحركة في الفم عند النطق، فهو ينتقل من وضع إلى آخر فيكيف الصوت اللغوي حسب أوضاعه المختلفة، وقد قسمه علماء الأصوات إلى ثلاثة أقسام: الأول منها أول اللسان بما في ذلك طرفه، والثاني وسطه، والثالث أقصاه.

هـ- الحنك الأعلى: هو العضو الذي يتصل به اللسان في أوضاعه المختلفة، ومع كل وضع من أوضاع اللسان بالنسبة لجزء من أجزاء الحنك الأعلى تتكون مخارج كثيرة من الأصوات، وينقسم الحنك الأعلى إلى أقسام عدة هي: الأسنان، ثم أصولها، ثم أصولها ثم وسط الحنك أو الجزء الصلب منه، ثم أقصى الحنك أو الجزء اللين منه ثم اللهاة.

و- الفراغ الأنفي: وهو العضو الذي يندفع خلاله النفس مع بعض الأصوات كالميم والنون هذا إلى أنه يستغل كفراغ رنان يضخم بعض الأصوات حين النطق.

ز- الشفتان: للشفتين وظيفة ملحوظة مع بعض الأصوات، فهما تنفرجان حيناً وتستديران أو تتطبقان حيناً آخر، وهكذا نلاحظ تغيراً في شكل الشفتين أثناء النطق وتختلف عادات المتكلمين في استغلال حركة الشفتين والانتفاع بها.

6- مصطلحات الصفات:

لقد تناول "إبراهيم أنيس" الصوت اللغوي بكافة جوانبه من حيث طبيعته وكيفية إنتاجه وما هي الأعضاء التي تتدخل في عملية إصدار الصوت؟، وكذا لم يغفل عن مخارج هذه الأصوات والصفات التي تتميز بها، من خلال مخارجها والصفة كما سلفنا الذكر أنها ميزة الصوت أو الحالة التي يكون عليها عند صدوره من أحد المخارج.

أما الصفات عند "إبراهيم أنيس" فقد ذكرها في كتابه الأصوات اللغوية على النحو التالي:

أ- الأصوات المجهورة: وقد عرف الجهر على أنه: صفة لصوت لغوي تتذبذب معه الحبال الصوتية، وينشأ هذا الاهتزاز عن تماس الوترين الصوتيين في الحنجرة، وابتعادهما بشكل متكرر¹.

هذا ما جاء في المعاجم اللغوية للصوتيات، بينما نجد "إبراهيم أنيس" يقول: فالصوت المجهور هو الذي يهتز معه الوتران الصوتيان أثناء هذه العملية

¹ محمد علي الخولي، معجم علم الأصوات، مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ط 01، 1982، ص

فتضيف فتحة المزمار، وانبساطها إذ يقترب الوتران الصوتيان أثناء هذه العملية فتضيف فتحة المزمار، ولكنها تسمح بمرور الهواء، فإذا ندفع الهواء خلال الوترين، وهما في هذا الوضع فأنهما يهتزتان، ويحدثان صوتاً موسيقياً تختلف درجته حسب عدد هذه الهزات، أو الذبذبات في الثانية¹، وعلماء الأصوات اللغوية يسمون هذه العملية بجهر الصوت.

إضافة إلى أننا نجد: « الصوت المجهور هو الذي يهتز معه الوتران الصوتيان²، ومن هذه التعريفات نلاحظ اتفاق جميعاً على أنها ربطت صفة الجهر باهتزاز الصوتين، ومن ذلك نجد "حازم كمال" "الدين" في قوله الجهر هو "اهتزاز الأوتار الصوتية عند مرور الهواء بها أثناء النطق بالصوت»³.

وما يؤكد تدخل الوتران الصوتيان في صفة الجهر، هو إجراء علماء الأصوات ومن بينهم "إبراهيم أنيس" لتجارب أكدت هذه الوضعية، وذلك عن طريق الآتي:

1. حين تضع الأصبع فوق تفاحة آدم، ثم تنطق بصوت من الأصوات وحده، مستقلاً عن غيره من الأصوات، ولا يأتي هذا إلا بأن نشكل الصوت موضع التجربة بذلك الرمز الذي يسمى السكون، مثل (ب) ويجب الاحتراز من الإتيان قبله بألف وصل، كما كان يفعل القدماء من علماء الأصوات.

2. حين نضع أصابعنا في آذاننا ثم ننطق الساكن (ب) فإننا نحس برنة الصوت في رؤوسنا.

3. وكذلك أن يضع المرء كفه فوق جبهته في أثناء نطقه، بالصوت وضع الاختبار فيحس برنين الصوت، وذلك الرنين هو أثر ذبذبه الوترين الصوتيين، ومنه ندرك أن صفة الجهر سببها الرئيسي هو تذبذب الوتران الصوتيان، وإعاقة الهواء أثناء مروره، بمخارج الأصوات مما يكسب ذلك الصوت هذه الصفة.

والأصوات الساكنة المجهورة في اللغة العربية، كما يترهن عليها التجارب الحديثة هي ثلاثة عشر وهي: الباء، الدال، الذال، الراء، الزاي، الضاد، العين، الغين، اللام، الميم/ النون، ويضاف إليها كل أصوات اللين بما فيها الواو، الياء⁴.

¹ إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، المرجع السابق، ص 21.

² نظر: سلمان بن سالم بن رجاء السخيمي، إبدال الحروف في اللهجات العربية، مكتبة الغرباء الأثرية المملكة السعودية، ط 01، 1995م، ص 96.

³ كمال الدين حازم، دراسة في علم الأصوات، مكتبة الأدب، القاهرة، ط 01، 1999م، ص 36.

⁴ إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، المرجع السابق، ص 21

وأضاف "إبراهيم أنيس" بأن الكثرة الغالبة من الأصوات اللغوية مجهورة وذلك شيء طبيعي إذ لو ذلك لفقدت اللغة عنصرها الموسيقي ورنينها الخاص الذي يميز به الكلام من الصمت والجهر من الهمس. وقد برهن الاستقراء على أن أصوات الكلام أربعة أخماسها تتكون من الأصوات المجهورة في حين أن المهموسة لا تكاد تزيد على الخمس أو عشرين المائة من الكلام¹.

ب- الأصوات المهموسة: الهمس هو عكس الجهر في الإصلاح، إذ أن في الصوت المهموس لاهتزاز الوتران الصوتيان ولا يسمع لهما رنين حين النطق به، وليس معنى هذا أن ليس للنفس معه ذبذبات مطلقاً، وإلا لم تدركه الأذن، ولكن المراد بهمس الصوت هو: صمت الوترين الصوتيين معه، رغم أن الهواء في أثناء اندفاعه من الحلق أو الفم يحدث ذبذبات يحملها الهواء الخارجي إلى حاسة السمع، فيدركها المرء من أجل هذا، والأصوات المهموسة عند إبراهيم أنيس اثنا عشر وهي: التاء، الثاء، الحاء، الخاء، السين، الشين، الصاد، الطاء، الفاء، القاف، الكاف، الهاء، وقد خالف في وصفه هذا الصوتي الطاء والقاف بالهمس لرأي القدماء.

وكما هو رأي "إبراهيم أنيس" في صفتي الجهر والهمس، وشرحه لهما، فكذلك هو رأي المحدثين ومن تبعه حول هاتين الصفتين، إذا أنهم يرون بأن الهمس عكس الجهر، إذ أن الهمس يحدث إذا كانت الأوتار الصوتية متباعدة، كما هي في حالة الزفير، فإن الهواء الخارج من الرئتين يكون لديه ممر حر نسبياً للبلعوم وإلى الفم، أما الجهر فيحدث عندما تكون الأوتار الصوتية متقاربة أو منتظمة، حيث يكون هناك ممر ضيق جداً بينهما، وجريان الهواء يؤدي إلى الاهتزاز الأوتار الصوتية مما ينتج عنه جهر الصوت².

ولبعض الأصوات المجهورة في اللغة العربية نظائر مهموسة مثل: الدال، الذال، الزاي، الصاد، العين، الغين، والتي نظائرها المهموسة على الترتيب الآتي هي: التاء، الثاء، السين، الطاء، الحاء، الخاء، ومن الأصوات ما هو مجهور ولا مهموس له مثل الباء، الجيم، الراء، الطاء، اللام، الميم، النون، ومنها ما هو مهموس ولا مجهور له مثل الشين، الصاد، الفاء، القاف، الكاف، الهاء، واختلاف

¹ المرجع نفسه، ص 28.

² ينظر: عمار إلياس البواصلة، الفكر اللغوي عند إبراهيم أنيس، رسالة ماجستير في اللغويات، قسم اللغة العربية، إشراف: يحيى عباينة، جامعة مؤتة، السعودية، 2003م، ص 23

الأوضاع التي تتخذها أعضاء النطق يولد أنواعا لا حصر لها من الأصوات اللغوية فمنها ما هو شديد، ومنها ما هو رخو¹.

ج- الأصوات الشديدة: تعرف الشدة في المعاجم على أنها درجة القوة التي يلفظ بها المقطع، وتعتمد الشدة على سعة الذبذبة، فكلما ازدادت السعة ازدادت الشدة، كما أن الشدة ترتبط بدرجة التيار، فكلما ازدادت درجة النبر ازدادت الشدة، وهي تتدرج تنازليا من النبرة الرئيسية إلى النبرة الثانوية إلى النبرة الثلاثية حتى تصل إلى النبرة الضعيفة².

أما الصوت الشديد في الدراسات الصوتية الحديثة هو: الذي ينحبس الهواء معه عند مخرجه انحباسا لا يسمح بمروره في ينفصل العضوان فجأة، فيحدث النفس صوتا انفجاريا كما سماء المحدثون Plosive.

وكذلك ما نلاحظه حين تلتقي الشفتان التقاء محكما فينحبس عندهما مجرى النفس المندفع، من الرئتين لحظة من الزمن بعدها تنفصل الشفتان انفصالا فجائيا، فيحدث النفس المنحبس صوتا انفجاريا، وهو ما يرمز له في الكتابة بحرف "الياء"، وهذا ليس معناه أن انحباس النفس مرتبطا إلا بالشفيتين، بل قد ينحبس في مخارج عدة فمثلا: التقاء طرف اللسان بأصول الثنايا التقاء محكما، وعند انفصال العضوين يندفع الهواء فجأة، مما ينتج لنا أصوات انفجارية والتي نرمز لها في الكتابة، بالتاء، والذال... الخ، وغيرها من الأمثلة ولكل عضوان صوت خاص بهما³.

ويرى "إبراهيم أنيس" أن الأصوات العربية الشديدة، كما تؤيدها التجارب الحديثة هي: الباء، التاء، الدال، الطاء، الضاد، الكاف، القاف، الجيم القاهرية، أما الجيم العربية الفصيحة فيختلط صوتها الانفجاري بنوع من الحفيف، يقلل من شدتها، وهو ما يسميه القدماء بتعطيش الجيم، وزاد عليها صوت الهمزة⁴.

¹ ينظر: إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، المرجع السابق، ص 23-24.

² محمد علي الخولي، معجم علم الأصوات، المرجع السابق، ص 83

³ إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، المرجع السابق، ص 21.

⁴ عمار إلياس، الفكر اللغوي عند إبراهيم أنيس، المرجع السابق، ص 26

ونجد هذا التصنيف كذلك عند "كمال بشر" وقد أطلق عليها اسم الوقفات الانفجارية Plosive Stop والأصوات الشديدة المذكورة هي نفسها التي ذكرها سيبويه إلا أنه ذكر من ضمنها الهمزة، ولم يذكر الضاد¹.

د- الأصوات الرخوة: الرخو هو صفة لصوت صامت لا يصاحبه توتر عضلي كبير، وينطق هذا الوصف على الصوامت المجهورة مثل (d) ويدعوه البعض صوتا ضعيفا، ويقلله الصوت الشديد أو القوي مثل (ت)، وتؤثر رخوة الصوت أو شدته في طول الصوت السابق له أحيانا². أما الأصوات الرخوة فهي ما عدا الأصوات الشديدة مع استثناء اللام والراء، والميم والنون وكما سموها المحدثون بالاحتكاكية.

ويصنفها "كمال بشر" ضمن ما يسميه بالوقفات الاحتكاكية Fricatives stops³.

أما عند "إبراهيم أنيس" فهي التي عند النطق بما لا ينحبس الهواء انحباسا محكما، وإنما يكتفي بأن يكون مجراه ضيقا، ويترتب على ضيق المجرى أن النفس في أثناء مروره بمخرج الصوت يحدث نوعا من الصفير أو الحفيف، تختلف نسبته تبعا لنسبة ضيق المجرى، ومثال ذلك عند اتصال أول اللسان بأصول الثنايا بحيث يكون بينهما فراغ كاف لمرور الهواء، نسمع ذلك الصغير الذي ينتج لنا صوتي السين أو الزاي.

وعليه فإن كل صوت يصدر بهذه الطريقة فهو رخو كما في اصطلاح القدماء بينما المحدثين أطلقوا عليها الأصوات الاحتكاكية⁴ Fricatives.

والأصوات الرخوة عند "إبراهيم أنيس" مرتبة حسب نسبة رخاوتها كالاتي:
السين، الزاي، الصاد، الشين، الذال، التاء، الظاء، الفاء، الهاء، الهاء، الحاء، الغين، وهو بهذا التصنيف لا يخالف القدماء إلا في صوت الضاد الذي عده صوتا شديدا.

¹ ينظر: محمد يحي آدم، جهود إبراهيم أنيس الصوتية من خلال كتابة الأصوات اللغوية، رسالة ماجستير في اللغة العربية، إشراف: داود عبد القادر ايليغا، جامعة المدنية العالمية، ماليزيا، 2013م،

² ينظر: محمد علي الخولي، معجم علم الأصوات، المرجع السابق، ص 71

³ ينظر: كمال بشر، علم الأصوات، المرجع السابق، ص 213

⁴ إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، المرجع السابق، ص 25

هـ الأصوات المائعة: وهي التي اصطلح عليها القدماء "بالمتوسطة" لأنها ليست شديدة ولا رخوة أما المحدثون من علماء الأصوات قد برهنوا بتجاربيهم على أن الأصوات تكون مجموعة خاصة لا هي بالشديدة ولا هي رخوة، وسموها liquids أي الأصوات المائعة أما تسميتها بالأصوات المتوسطة فليست تعني أكثر من أنها تخالف الشديدة والرخوة.

وقد ركز "إبراهيم أنيس" على توضيح مفهومها وقوله: "قد يتسع الفراغ مع بعض الأصوات اتساعا كبيرا يسمح بمرور الهواء، دون أن يحدث أي نوع من الصفير أو الحفيف، و يلاحظ هذا مع اللام والنون والميم والراء¹، أما القدماء فقد زادوا عن هذه الحروف الأربعة صوت "العين"، فعدوها صوتا متوسطا أيضا. لكن في مقابل هذا يقول "إبراهيم أنيس" إنه لقلّة التجارب الحديثة التي أجريت على أصوات الحلق لا نستطيع أن نرجع صحة هذه الصفة "العين"، بل نتركها لتجارب المستقبل لتبرهن عليها أما "تمام حسان" فقد أطلق على هذه الأصوات اسم الاستمرارية.

ومن نتائج تحليل المحدثين ومنهم "إبراهيم أنيس" للأصوات اللغوية، تقسيمها إلى قسمين رئيسي سمو الأول منها الأصوات الساكنة Consomants، وهي السابقة الذكر، والثاني سموه أصوات اللين Vowels، وهذا التقسيم أساسه الطبيعة الصوتية لكل من النوعين².

و- أصوات اللين: إن الصفة التي تجمع بين الأصوات- أصوات اللين في نظر "إبراهيم أنيس" أنه: حين النطق بها يندفع الهواء من الرئتين مارا بالحنجرة، ثم يتخذ مجراه في الحلق والقم في ممر ليس فيه حوائل تعترضه، وعند النطق بالأصوات الساكنة ينحبس الهواء انحباسا محكما فلا يسمح له بالمرور لحظة من الزمن، يتبعها ذلك الصوت الانفجاري، أو يضيق مجراه فيحدث النفس نوعا من الصفير أو الحفيف، إضافة إلى الأساس الذي بني عليه التقسيم السابق هو أنه أصوات اللين هي أوضح في السمع من الأصوات الساكنة. وتتمثل أصوات اللين في: الألف، الياء، الواو³.

¹ ينظر: إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص 26.

² المرجع نفسه، ص 26.

³ إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، المرجع السابق، ص 26

وبالإضافة إلى هذه الصفات فقد جاء في سياق حديثه صفات أخرى، فاستعمل مصطلحات أخرى: الأصوات الاحتكاكية، الأصوات الانفجارية، أصوات التفخيم، أصوات الأطباق، أصوات الاستعلاء.

7- مخارج الأصوات عند "إبراهيم أنيس":

إن دراسة مخارج الأصوات اللغوية، من أهم موضوعات الأصوات النطقي، وكان لعلماء اللغة العربية المتقدمين، وعلماء القراءة والتجويد عناية كبيرة بهذا الموضوع لأنهم يعدونه من أهم الموضوعات التي يبني عليها ضبط النطق، وتصحيح القراءة، إن تعريفات المخارج قد اختلفت بين القدامى، مما أدنى إلى كثرتها وتعددتها، كذلك هو الحال بالنسبة للمحدثين، إلا أن جميعهم اتفقوا حول تسمية المخرج في حد ذاته، ووجوده من أنسب المصطلحات من حيث اللفظ والمعنى.

وإبراهيم أنيس من أوائل مؤيدي هذا المصطلح، ونجد مفهومه متداول عند ثلاثة من اللغويين فنلاحظ أن "أحمد عمر" يقول بأن المخارج هي: "الأماكن التي يمكن تنويع الضغط عندها كثيرة، وكل نقطة على طول الجهاز النطق تصلح مكانا التنويع الضغط، وبعبارة أخرى مكانا للنطق¹ Place of articulation وهو يقصد بالأماكن مخارج الأصوات، إذ يؤدي تنوع الضغط على هذه الأماكن إلى تنويع صفات الأصوات واختلاف كيفية خروجها من مواضعها.

كما أنه يمكن أن يقع مخرج الصوت في أي مكان من الجهاز الصوتي يكون فيه على الأقل عضو صوتي متحرك بدءا بالشففتين، وانتهاء بالرققتين الصوتيتين، إضافة إلى أن ذلك الصوت يوصف باسم المكان الذي يخرج منه، وقد تشترك بعض الأصوات في المخرج فنفرق بينهما الصفة، وقد تختلف بعضها في المخرج وتشترك في الصفة، وبالرغم من هذا الاتفاق، إلا أن هناك تضارب في الآراء وخط في بعض الأفكار حول تحديد المخارج وتعدادها، فمنهم من جعلها تسعة 9 مخارج، ومنهم من جعلها عشرة 10 مخارج، وهذا الأخير الغالب عندهم، وقد وضح "إبراهيم أنيس" على النحو التالي:

أ- الأصوات الشفوية: والحرف: جهر شفوي، إذ تتمثل في حرفي الباء، والميم، ويشير في شرحه إلى أن الباء تنتج بمرور الهواء بالحجرة، ثم يتخذ مجراه بالحلق ثم الفم حتى ينحبس عند الشفتين المنطبقتين انطباقا كاملا، وإذا

¹ ينظر: أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، المرجع السابق، ص 113

انفجرت الشفتان فجأة سمعنا ذلك الصوت، أما المهموس الباء فليس أساسيا في اللغة العربية، وإنما يرمز إليه في الكتابة الأوروبية بالرمز "P".

أما الميم فقد سماه بالصوت المتوسط، إذ ينتج من خلال مرور الهواء بالحنجرة أولا، فيتذبذب الوتران الصوتيان ثم يصل مجراه إلى الفم فيهبط إلى أقصى الحنك، ويتخذ مجراه في التجويف الأنفي، وعند مرور الهواء من هذا الجزء تنطبق الشفتان تمام الانطباق وبخرج الحرف¹.
كما يقول "المبرد" « الميم ترجع إلى الخياشيم بما فيها من الغنة، فلذلك تسمعا كالنون »².

ب- الصوت الشفوي الأسناني: يضم هذا المخرج صوت "الفاء" وينتج عن اندفاع الهواء الذي يمر بالحنجرة، دون أن يتذبذب الوتران الصوتيان، ثم يتخذ مجراه في الحلق والفم حتى يصل إلى مخرج الصوت، وهو بين الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا، والفاء هي صوت رخو مهموس وليس للفاء العربية نظير مجهور، كذلك الذي نشهده في معظم اللغات الأوروبية والذي يرمز له فيها بالرمز (V)³.

ج- الأصوات اللثوية: وهي:

التاء: صوت شديد مهموس، لا فرق بينه وبين الدال سوى أن التاء مهموسة والدال نظيرها المجهور، ففي تكون التاء لا يترك الوتران الصوتيان، بل يتخذ الهواء مجراه في الحلق والفم حتى ينحبس بالتقاء طرف اللسان بأصول الثنايا العليا فإذا انفصلا انفصالا فجائيا سمع ذلك الصوت الانفجاري⁴.

الطاء: الطاء كما نعرفها في مصر لا تفترق عن التاء في شيء، غير أن الطاء أحد أصوات الأطباق، فالطاء كما ننطق بها الآن صوت شديد مهموس يتكون كما تتكون التاء غير أن وضع اللسان مع الطاء يختلف عن وضعه مع التاء، فاللسان مع الطاء يتخذ شكلا مقعرا منطبقا على الحنك الأعلى.
وقد جمع الرواة في وصفهم للطاء القديمة على أنها صوت مجهور، مما يحملنا على الاعتقاد أن الطاء القديمة تخالف التي تنطق بها الآن.

¹ إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، المرجع السابق، ص 47-48

² ينظر: محمد يزيد المبرد، المقتضب، تحقيق: محمد عبد الخالق عضمة، عالم الكتب، بيروت، د ط، ص 124/1.

³ ينظر: إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، المرجع السابق، ص 49

⁴ المرجع نفسه، ص 56-57

د- الأصوات الذلقية: اللام- الراء- النون-.

لقد سبق بعض القدماء هذه الأصوات الثلاثة بالأصوات الذلقية¹، ولا شك أن المؤلفين القدماء قد أحسوا بالعلاقة الصوتية بين هذه الأصوات فجمعوها تحت اسم واحد، وكذلك المحدثون من علماء الأصوات اللغوية يرون وجه شبه كبير بين هذه الأصوات الثلاثة.

أما وجه الشبه بين أفراد هذه المجموعة الفرعية كما يراه المحدثون أنها مع قرب مخارجها تشترك في نسبة وضوحها الصوتي.

اللام: نوعان: مرققة ومغلظة على أن الأصل في اللام العربية الترقيق، ولا يجوز الرجوع عن هذا الأصل عند جمهور القراء إلا بشرطين هما:

- أن يجاور اللام أحد أصوات الاستعلاء، "ولا سما الصاد والطاء، الظاء" ساكنا أو مفتوحا.

- أن تكون اللام نفسها مفتوحة.

على أن جمهور القراء قد أجمعوا على تغليظ اللام في اسم الجلالة، إلا إذا كان يسبقها كسرة: بسم الله.

واللام صوت متوسط بين الشدة والرخاوة، ومجهورا أيضا، ويتكون هذا الصوت بأن يمر الهواء بالحنجرة فيحرك الوترين الصوتيين، ثم يتخذ مجراه في الحلق وعلى جانبي الفم في مجرى ضيق يحدث فيه الهواء، نوعا ضعيفا من الحفيف وفي أثناء مرور الهواء من أحد جانبي الفم أو من كليهما².

ومن القراء من يفخم معظم اللامات مثل "ورش" القارئ المصري المشهور، مما هو مفصل في كتب القراءات.

الراء: هي أيضا نوعان: مرققة ومفخمة، ورغم اختلاف القراء في تفخيم الراء وترقيقها إلى حد يشبه الاضطراب، يمكن أن نستخلص من تلك الآراء المشعبة ضوابط عامة يكاد يجمع عليها القراء هي:

- تفخيم الراء المفتوحة إلا إذا سبقها كسرة أو ياء مد نحو: رزقكم، صبروا.

- ترقيق الراء المكسورة مطلقا مثل: رزق، رجس.

- وأما الساكنة التي يسبقها كسر فتترقق مثل: فرعون، إلا إذا وليها صوت استعلاء مثل قرطاس والفرق بين الراء المرققة والمفخمة يشبه الفرق بين اللام

¹ إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، المرجع السابق، ص 58-59.

² المرجع نفسه، ص 59.

المرققة والمغلظة أي أن الراء المفخمة تعد من الناحية الصوتية أحد أصوات الأطباق¹.

والصفة المميزة للراء هي تكرر طرق اللسان للحنك عند النطق بها. **النون**: صوت مجهور متوسط بين الشدة والرخاوة، ففي النطق به يندفع الهواء من الرئتين مجرى الوترين الصوتيين، ثم يتخذ مجراه في الحلق أولاً، حتى إذا وصل إلى الحلق هبط أقصى الحنك الأعلى فيسد بهبوطه فتحة الفم ويتسرب الهواء من التجويف الأنفي محدثاً في مروره نوعاً من الحفيف لا يكاد يسمع. وليبان أن مجرى الهواء مع كل من الميم والنون هو التجويف الأنفي وحده. ودرجات تأثير النون بالأصوات المجاورة تتراوح بين إظهارها خالصة دون شائبة مع أصوات الحلق، وإدغامها إدغاما كاملاً في الراء واللام، إذا اتفق النون فيهما عند جمهور القراء نحو "من ربهم، فإن لم يفعلوا" وبين إظهار النون وإدغامها إدغاما كاملاً.

(السين): صوت رخو مهموس ونظيره المجهور هو الزاي.

(الزاي): صوت رخو مجهور ونظيره المهموس هو السين.

(الصاد): صوت رخو مهموس يشبه السين تماماً إلا أن السين أحد أصوات

الأطباق.

هـ- الأصوات الأصلية أو الصفير: السين، الزاي، الصاد

ويقول "إبراهيم أنيس" حول هذه الأصوات بأنها تعرف بتسمية أخرى، في معظم كتب القراءات، وهي أصوات الصفير، إلا أنه ينقد هذه التسمية، ويصفها على أنها أقل دقة، لأن الصفير تميز عدة حروف ولا يقتصر على ثلاثة فقط، لأنها تصدر نتيجة ضيق المجرى عند مخرج الصوت.

و- أصوات وسط الحنك: كما تسمى بالأصوات الضاربة لأن مخرجها الغار.

ويضم هذا المخرج صوتين هما الشين والجيم العربية الفصيحة.

فعند النطق بالشين يندفع الهواء من الرئتين، ويمر بالحنجرة، فلا يحرك الوترين الصوتيين، وعند النطق به يرتفع اللسان كله نحو الحنك الأعلى، كما أن الأسنان العليا تقترب من السفلى الجيم العربية الفصيحة مخرجها عند اللقاء وسط اللسان بوسط الحنك الأعلى².

ز- أصوات أقصى الحنك: وتتمثل أصوات هذا المخرج في الكاف والقاف.

¹ ينظر: إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، المرجع السابق، ص 60.

² ينظر: إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، المرجع السابق، ص 68.

يحرك الوترين الصوتين، ثم يتخذ مجراه في الحلق، فإذا وصل إلى أقصى الفم أنحبس الهواء الاتصال أقصى اللسان، بأقصى الحنك الأعلى، فلا يسمح بمرور الهواء، والكاف نظير مجهور هو الجيم القاهرية التي نسمعها أيضا اللغة العبرية والسريانية¹.

القاف: لقد تطور هذا الصوت حيث كان قديما مجهورا، أما الآن كما ينطق به، وهو صوت شديد مهموس، فالقاف كما وصفه القدماء يشبه القاف المجهورة التي تسمع عند القبائل العربية في السودان، ومن تطورها أنها تسمع في لغة الكلام بمصر والشام همزة.

ح- الأصوات الحلقية: ذكر "إبراهيم أنيس" أن أصوات الحلق لم تحظ بعناية المحدثين من علماء الأصوات، فهم لم يبنوا وظيفة الحلق بين أعضاء النطق.

الغين: مخرجه أدنى الحلق إلى الفم وهو صوت رخو مجهور.

الخاء: له نفس مخرج الغين غير أنه يختلف عنه في صفة الهمس.

العين: مخرجه هو وسط الحلق وهو صوت مجهور، كما أنه من الأصوات المتوسطة، إذ عده القدامى بين الشدة والرخاوة.

الحاء: له نفس مخرج العين إلا أنه يختلف عنه في كونه مهموسا.

الهاء: عند النطق به يحدث حفيف الهواء يسمع في أقصى الحلق أو داخل المزمار والنطق به يشبه الوضع الذي ينطق به أصوات اللين، وهو صوت مهموس.

ط- مخرج الهمزة: من أقصى الحلق، وهي صوت شديد، لا هو بالمجهور ولا بالمهموس.

وهذا الرأي عند الدكتور "كمال بشر" إذ يعتبر بأن الهمزة صوت لا بالمهموس ولا بالمجهور، هو الرأي الراجع إذ أن وضع الأوتار الصوتية حال النطق بها، لا يسمح بالقول بوجود ما يسمى بالجهر، أو ما يسمى بالهمس.

وهناك إشارة لما إليها "إبراهيم أنيس" للتفريق بين مخرج الصوت ومجراه: « فالمخرج نقطة معينة في المجرى عندما يتكون الصوت وعندما يضيق المجرى أو يتسع حسب طبيعة الصوت، وصفته أما المجرى فهو طريقة من الرنتين حتى يندفع خارج الفم أو الأنف »².

¹ محمد يحي ادم، جهود إبراهيم أنيس الصوتية من خلال كتابه الأصوات اللغوية، رسالة الماجستير في اللغة العربية، إيليا جامعة المدينة العالمية، ماليزيا، 2013م، ص 72.

² عمار إلياس، البوالصة، الفكر اللغوي عند إبراهيم أنيس، رسالة الماجستير في اللغويات، قسم اللغة العربية، جامعة مؤسسة السعودية، 2003 ص 13، 14.

ملخص حول جهود "إبراهيم أنيس" الصوتية:

- كان لإبراهيم أنيس إلماما تاما بالدراسات اللغوية القديمة واعتمد عليها في إرساء دعائم نظرياته الجديدة.
- أشار "إبراهيم أنيس" إلى ظاهرة تطور الأصوات وذكر الأصوات التي أصابها هذا التطور.
- اعتمد على عدة مناهج كالمنهج الوصفي والمنهج التحليلي والمقارن وكذلك التطبيقي.
- يعتبر من الأوائل الذين نقلوا النتائج التي توصل إليها المحدثون إلى الأصوات العربية سمي الأصوات الشديدة بالانفجارية والرخوة بالاحتكاكية.
- وظف العديد من معطيات التجارب الحديثة للدراسات الصوتية العربية مثلا في دراسة مخارج بعض الأصوات وصفاتها، مقاييس أصوات اللين وغيرها.

المبحث الثالث: المقارنة بين المباحث الصوتية عند "ابن جني" و"إبراهيم أنيس".

عندما نذكر القدماء والمحدثين، لا يعني أن هناك فرقا بينهما أو هناك حلقات منفصلة في الزمن بين هؤلاء وأولئك، إذ أن هذه الحلقات متماسكة مع بعضها البعض دون انقطاع، ودليل هذه الدراسات التي تبلورت عند القدامى، وتشكلت في أفكار جمة ليتم إمامها ووضعها في وعاء من طرف المحدثين، وفي بعض الأحيان لم يزدوا عنها شيئا بل اكتفوا بأفكار سلفهم، إلا أنهم وضعوها في ألوان جديدة مساوقة لجدة الحياة نفسها، ولسنا نهدف من حديثنا إلى عقد مقارنة بين الجانبين القديم والجديد وإنما مجرد الكشف عن أهم نقاط الاتفاق والافتراق بينهما أخذين في الحسبان عامل التطور الزمني والمكاني معا¹.

1- مفهوم الصوت:

لا شك أن علماء اللغة المحدثين قد اثروا الدراسات الصوتية ثراء واسعا وملموسا، وأصبح لهذا العلم مادة منهجية يدرسها أي عالم كما تدرس العلوم الأخرى. وقد ساعد هؤلاء العلماء على ثرائهم هذا التقدم العلمي المتمثل في التكنولوجيا الحديثة المتطورة، فأغنوا الدراسة الصوتية بشقيها:

- الفونتيكس (phonetice) أو علم الأصوات.

¹ ينظر: كمال بشر، التفكير اللغوي بين القديم والحديث، دار غريب، القاهرة، دت، ص 07.

• الفونولوجيا (phonology) أو علم وظائف الأصوات.

وذلك من خلال الدراسات والبحوث والمقالات وساهموا مساهمة فاعلة في وصل هذا العلم إلى ما وصل إليه، وهذا لا يعني أن علماء اللغة العربية القدامى قد تجاهلوا هذا العلم وأغفلوه، فالدراسات الصوتية لسيت وليدة عصر علماء اللغة المحدثين، وإنما أثرت قديماً إهتمام علماء اللغة القدامى من الشعوب المختلفة كال يونان والرومان والهنود بالإضافة إلى علماء العربية الذين اهتموا بهذه الدراسة على اختلاف مستوياتهم وتنوع اهتمامهم¹، ولوعدنا إلى جهود بعض علماء العربية القدامى "كالخليل" و"الفراهيدي" و"سيبويه" و"أبي الفتح ابن جني" لوجدنا في جهودهم ما يجعلنا على قناعة أنهم وضعوا اللبنة الأولى لبناء هذا العلم.

ولقد حاول العلماء أن يضعوا تعريفات تناسب القداماء والمحدثين وذلك التناسب ليس في جوهره أو مضمونه وإنما تتمثل في المصطلحات التي يعبر بها كل عالم أوباحث حسب منهجه اللغوي، فنجد "ابن جني" يعرف الصوت: «الصوت عرض يخرج من النفس مستطيلاً متصلاً حتى يعرض له في الحلق والفم والشففتين مقاطع تثنيه عن امتدده واستطالته فيسمى المقطع أينما عرض له حرفاً»²، وحسب تعريف "ابن جني" الصوت فهو قد تحدث عن مصدر الصوت وكيفية حدوثه وطرق خروجه، وهو يعني بهذا التعريف ملامح الصوت اللغوي لا غير، عن طريق تحديد مقاطع الصوت التي تثنيه عن الامتداد والاستطالة، وسمى وقفة الانتناء مقطعا وسمى المقطع عند الانتناء حرفاً، كما أنه يميز بين الجرس الصوتي لكل حرف معجمي بحسب اختلاف مقاطع الأصوات فتلمس لكل حرف جرساً ولكل جرساً صوتاً³، وقد وضع "ابن جني" كيفية معرفة مخارج الحروف فيقول: «وسبيلك إذا أردت اعتبار صدى الحروف، أن تأتي به ساكناً لا متحركاً، لأن الحركة تفلق الحرف عن موضعه، ومستقره، وتجذب به إلى جهة الحرف التي هي بعضه، ثم تدخل عليه همزة الوصل مكسورة من قبله لأن الساكن لا يمكن

¹ إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، المرجع السابق، ص 87.

² ابن جني، سر صناعة الأعراب، المرجع السابق، ص 06.

³ محمد حسين علي الصغير، الصوت اللغوي في القرآن الكريم، دار المؤرخ العربي، بيروت، لبنان، د ط، د ت، ص 15.

الابتداء به، فتقول: اك. اق. أج، وكذلك سائر الحروف»¹، ويقول أيضا في هذا: «ولكن هذا القبيل من هذا العلم، أعني علم الأصوات والحروف له تعلق ومشاركة للموسيقى لما فيه من صنعة الأصوات والنغم»²، ولعل هذه التسمية الصريحة بهذه الدلالة الاصطلاحية الناصعة لم يسبق إليها "ابن جني" أحد من قبل.

أما "إبراهيم أنيس" فقد عرف الصوت على أنه: «ظاهرة طبيعية ندرك أثرها قبل أن ندرك كنهها»³، كما أضاف أن الصوت يجب أن يتوفر على اهتزازات وذبذبات تنتقل عن طريق الهواء إلى أذن المتلقي⁴، وهذه الاهتزازات تصدر عنها ذبذبات صوتية يمكن أن تحدث إما عند التقاء شيئين أو عند ابتعادهما، فمثلا عند التقائهما كغلق الباب وعند ابتعادهما كفتح الباب.

والملاحظ أنه رغم رؤية "ابن جني" المعاصرة لهذا العلم وموازنته المحدثه فقد استعمل مصطلحات تواكب عصره والتي أفقدت التعريف جانبا من الدقة، حيث تعرّض للصوت من خلال الحلق حتى الشفتين إلا أنه أهمل سبب إنتاج الصوت وكيف ينتقل. أما "إبراهيم أنيس" فكان عكس ذلك لأنه جمع في تعريفه كل ما يخص الصوت من شروط ودقة ووضوح يسهل الفهم والاستيعاب وهذا مواكب لعصره الذي كان يتميز بالتطور العلمي⁵.

2- مخارج الأصوات:

إن المخارج عند المحدثين كان فيها اختلاف فمنهم من جعلها تسعة والبعض جعلها إحدى عشر: الشفتان، الشفوي أسناني، أسناني، لثوي، التوائي، غاري، طبقي، لهوي، حلقي، حنجري. وهو أرجح الآراء التي قال بها المحدثون، كما هو الحال عند القدامى يمكن أن تكون زيادة عند الآخر أو نقص عند كل منهما، ويعزى ذلك الاختلاف بين القدامى والمحدثين إلى احتمال حدوث تطور من نوع

1 ابن جني، سر صناعة الأعراب، المرجع السابق، ص 07.

2 المرجع نفسه، ص 10.

3 إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، المرجع السابق، ص 05.

4 ينظر: المرجع نفسه، ص 05.

5 ينظر: لطيفة طوابلية، المصطلح الصوتي بين "ابن جني" و"إبراهيم أنيس"- دراسة مقارنة، مذكرة ماستر، تخصص صوتيات وعلوم اللسان، كلية الآداب واللغات، جامعة قلمة، 2015/2014م، ص 67.

ما للأصوات العربية من حيث مواضع نطقها منذ زمن القدامى، وفي تحديد حيز المخرج، وسنوضح ذلك من خلال الجدول التالي¹:

إبراهيم أنيس		ابن جني	
الصوت	المخرج	الصوت	المخرج
الميم، الباء	الشفوية	01	الهمزة، الألف، الهاء
الفاء	الشفوي الأسنان	02	العين، الحاء
الذال، الثاء، الظاء	اللتوية	03	الغين، الحاء
الضاد، الطاء، التاء	اللتوية الأسنان	04	القاف
اللام، الراء، الصاد	الذلقية	05	الكاف
السين، الزاي، الصاد	الأسلية	06	الجيم، الشين، الياء
الجيم	وسط الحنك	07	الضاد
الكاف، القاف	أقصى الحنك	08	اللام

¹ المرجع نفسه، ص 70-71.

				والتثنية.	
09	ومن طرف اللسان بينه وبين ما ويق الثنايا	النون	09	الحلقية	العين، الخاء، العين، الحاء، الهاء، الهمزة
10	من مخرج النون غير أنه أدخل في ظهر اللسان قليلا لانحرافه إلى اللام	الراء			
11	مما بين اللسان وأصول الثنايا	الطاء، الدال، التاء			
12	مما بين الثنايا وطرف اللسان	الصاد، الزاي، السين			
13	مما بين اللسان وأطراف الثنايا	الظاء، الذال، التاء			
14	من باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العلى	الغاء			
15	ما بين الشفتين	الباء، الميم، الواو			
16	من الخياشيم	النون الخفيفة			

ومن خلال المقارنة بينهما نلاحظ أن "ابن جني" في ترتيبه لمخارج الحروف كان مخالفا تماما لما جاء به "إبراهيم أنيس"، فابن جني بدأ بالأصوات العميقة والتي هي الحلق وأخذ ف التدرج نحو الأعلى حتى وصل إلى الشفتين بينما "إبراهيم أنيس" خالفه تماما عما جاء به فهو بدأ بالشفتين حتى وصل إلى أعمق درجة من الصوت أما المصطلحات عند "ابن جني" جعلها في تصنيفه

لمخارج الحروف وتختلف وتتووع كثيرا عما جاء به "إبراهيم أنيس" لأن هذا الأخير صنفها في تسعة مخارج بارزة وواضحة، أما "ابن جني" فقد استعمل عدة مصطلحات وهذا ما جعل المخارج عنده أكثر من "إبراهيم أنيس"، وتمثلت عند "ابن جني" في ستة عشر مخرجا، حيث نجد "إبراهيم أنيس" جمع في مصطلح الذلق ثلاثة حروف كاللام والراء والنون، وجعل لها مخرجا واحدا، عكس ما جاء به "ابن جني" جعل كل صوت من هذه الأصوات مخرجا خاصا بها لذلك كانت عنده ثلاثة مخارج وهذا ما جعل عدد المخارج أكثر عنده.

وللإشارة فإن الناظر إلى ترتيب المخارج بين القدامى والمحدثين يجد أن القدامى رتبوا المخارج من أقصى الحلق صعودا إلى الشفتين، أما المحدثون فرتبوا من الشفتين نزولا لأقصى الحلق وهو أكثر الفروق الشاسعة بينهما. وعند تصنيف "إبراهيم أنيس" لمخارج الأصوات لم يتطرق لصوتين الياء والواو وجعلهم صوتين انقاليين ولم يعتبرهم من الأصوات الساكنة لأنها ينتقلان من صوت لآخر، وسماههما أنصاف أصوات اللين، وصنف أيضا مخرج الألف إلى صوت مد أو ذاتية بالهمزة¹.

أما حول نقاط الاتفاق بين "إبراهيم أنيس" و"ابن جني" في ذكرهم للألف على أنها « إنَّ الألف التي في أول حروف المعجم هي صورة الهمزة »². إن مخرج الجيم والشين من وسط الحنك الأعلى وهذا يوافق ما يراه الكثير من المحدثين اليوم.

فكلاهما يتفق في الأصوات الزاي والصاد والسين بأن هذه الأصوات يضمها مخرج واحد إلا أنها اختلفا في التسمية فقد سماها "ابن جني" مما بين الثنايا وطرف اللسان أما "إبراهيم أنيس" فأطلق عليها الأسلية وهي مخرج أسلة اللسان وعلى الرغم من مخارج الأصوات إلا أنها يختلفان دائما إما في التسمية أوفي مخرج الصوت سواء اختلفا في الترتيب.

لقد ذكر "ابن جني" الأصوات التي تخلى عنها "إبراهيم أنيس" فمثال ذلك الألف فصنفها حلقية أما الواوشفوية وجعل الياء مخرجها من وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى، وهنا اختلفا تماما عن بعضهما البعض، واختلفا كلاهما حول صوت الضاد فكل واحد منهما صنفها حسب معرفته إلا أن صوت

¹ محمد يحي آدم، المرجع السابق، ص 46.

² حسام سعيد النعيمي، الدراسات الصوتية واللهجية عند ابن جني، دار الرشيد، العراق، 1980م، ص

الضاد يعتبر من أصعب الأصوات العربية من حيث النطق، فنجد من ينطقها من الجانب الأيمن والبعض الآخر من إحدى حافتين اللسان فقد نسب "ابن جني" موضع النطق بالضاد إلى المنطقة تلي الجيم والشين والياء قريبة من وسط الحنك أي أنها لثوية حنكية، إذ يقول "ابن جني" أنها من أول حافة اللسان وما يليها من أضرار مخرج الضاد إلا أنك إن شئت تكلفتها من الجانب الأيمن وإن شئت من الجانب الأيسر أو من كلاهما، ومعنى هذا أن الضاد أقرب إلى الحرف المنحرف أوجانبى كاللام وهذا يختلف عن نطقنا للضاد اليوم، إذ أنها تتفق الدال والتاء والطاء في المخرج وهذه الأصوات أربعة أسنانية لثوية.

أما المحدثين فقد اختلفوا عن القدامى فيرى "إبراهيم أنيس" أن: « الضاد صوت شديد مجهور يتحرك معه الوتران الصوتيان، ثم ينحبس الهواء عند التقاء طرف اللسان بأصول الثنايا العليا، فإذا انفصل اللسان عن أصول الثنايا سمعنا صوتاً انفجارياً هو الضاد »¹.

3- صفات الأصوات:

أدرك علماء الأصوات أن المخرج لا يكفي أن يكون مقياساً وحده يعتمد عليه في تمييز الأصوات وذلك لاشتراك مجموعة من الأصوات في مخرج واحد، كالحلق والحنك وغيرها، وبناء على هذا تتبعض المراحل التي يسلكها الصوت في جهاز النطق حتى يصيرا صوتاً لغوياً، بغية الوصول إلى ضوابط أخرة يمكن أن تساهم جانباً إلى المخرج في تمييز الأصوات المشتركة في المخرج فكل حرف شارك غيره في المخرج فإن لبا يمتاز عنه بالصفات².

إن علماء الأصولات قديمهم وحديثهم إلا أن المخرج لا يمكن أن يكون عمدة بمفرده للتمييز بين الأصوات، لأنه وجد أن مجموعة من الأصوات قد تشترك في مخرج واحد عندئذ ذهبوا لينابغوا المراحل التي يسلكها الصوت في جهازه النطقي ليصبح صوتاً لغوياً وقالوا بأن كل حرف يشارك غيره في المخرج فإنه لا فارق بينهما إلا في الصفات سواء كانت أساسية كالجهر والهمز، أو صفات ثانوية كالشدة والرخاوة والتوسط، هذا بالإضافة إلى الصفات التمييزية أو الفارقة كالاستعلاء والاستطالة والاطباق والانفتاح والاذلاق والاصمات.

¹ إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، المرجع السابق، ص 48.

² صبحي صالح، دراسات في فقه اللغة، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، دط، دت، 1973، ص 58.

تعرف صفات الأصوات بأنها الكيفية التي يتم بها حبس وإطلاق تيار الهواء في جهاز النطق « تتخذ اسلوباً لتصنيف أصوات الكلام »¹، وأنها تلك الظواهر الصوتية المصاحبة لحركات أعضاء النطق في حال انتاج الصوت اللغوي. ومن خلال الجدول الآتي² سنعرض مصطلحات الصفات عند كل من "ابن جني" و"إبراهيم أنيس":

إبراهيم أنيس		ابن جني			
الصوت	الصفة	الصوت	الصفة		
الباء، الجيم، الدال، الذال، الراء، الزاي، الضاد، الطاء، العين، الغين، اللام، الميم، النون، أصوات اللين	المجهور	01	الهاء، الحاء، الخاء، الكاف، الصاد، التاء، السين	01	المهموس
التاء، الثاء، الجيم، الخاء، السين، الشين، الصاد، الطاء، الفاء، القاف، الكاف، الهاء	المهموس	02	الهمزة، الألف، العين، القاف، الجيم، الياء، الضاد، اللام، النون، الراء، الطاء، الدال، الزاي، الطاء، الذال، الياء، الميم، الواو.	02	المجهور
الباء، التاء، الدال، الطاء، الضاد، الكاف، الجيم	الشديد	03	الهمزة، القاف، الكاف، الجيم، الطاء، الدال، التاء، الباء	03	الشديد
الزاي، السين، الصاد، الشين،	الرخو	04	الألف، العين، الياء، اللام، النون، الراء،	04	بين الشدة والرخاوة

¹ صالح سليم عبد القادر الفاخري، الدلالة الصوتية في اللغة العربية، المكتب العربي الحديث، الاسكندرية، مصر، دت، ص 139.

² لطيفة طواليه، المرجع السابق، ص 75-76.

الذال، الثاء، الظاء، الفاء، الهاء، الحاء، الخاء، الغين			الميم، الواو	(المتوسطة)	
اللام، النون، الميم، الراء	المتوسط (المائع)	05	الصاد، السين، الشين، الذال، الثاء، الطاء، الفاء، الهاء، الحاء، الخاء	الرخوة	05
			الضاد، الصاد، الطاء، الظاء	الأطباق	06
			كل حروف الهجاء ما عدا الحروف الأربعة المطبقة	الانفتاح	07
			الضاد، الصاد، الطاء، الظاء، الخاء، الغين،	الاستعلاء	08
			الألف، الباء، التاء، الطاء، الجيم، الحاء، الذال، الذال، الراء، الزاي، السين، الشين، الواو، العين، الفاء، الكاف، اللام، النون، الهاء، الباء، الهمزة	الانخفاض	09
			الهمزة، الألف، الياء، الواو، الميم، انون، السين، التاء، اللام، الهاء،	حروف الزيادة	10
			اللام	المنحرف	11
			القاف، الجيم، الطاء، الذال، الياء	القلقة	12

13	المكرر	الراء
14	المهتوت	الهاء
15	الذلاقة	اللام، الراء، النون، الطاء، الباء، الميم
16	الإصمات المصمتة	جميع الحروف ما عدا حروف الذلاقة

ومن خلال تقسيم الصفات بيان "ابن جني" و"إبراهيم أنيس" أن هناك فرق شاسع حيث أن "ابن جني" عدد الصفات الكثيرة بينما "إبراهيم أنيس" فحصرها في خمسة صفات فقط، ومن بين الصفات التي كانت عند ابن جني ولم يتطرق لها "إبراهيم أنيس" فقد عرضها على إشارات ويذكرها كباقي الصفات وإنهما اتفقا في خمسة صفات وكانت كالتالي: المجهور، المهموس، الشديد، الرخاوة، المتوسط... الخ¹.

نلاحظ هنا أن مخارج الأصوات ارتبطت بالجانب التجريدي أي الذهني الصوري للأصوات، فهي تعتمد على الملاحظة والحس اللغوي، والانطباع الذاتي خاصة، مما أدى إلى اختلاف تحديدها وصفات الحروف هذه منها: المجهورة وضدها المهموسة، إذ نجد أن "ابن جني" ذكر مصطلح المهتوت والانخفاض و"إبراهيم أنيس" لم يذكرهما ولم يشير إليهما، وكذلك مصطلح الصفة المتوسط وإنما "إبراهيم أنيس" اصطلح عليها بالمائعة.

وكانت هذه بعض الفروقات عند كل منهما إلا أنه تبقى هناك بعض الاختلافات في التصنيفات من حيث الصفات، حيث أن الأصوات المجهورة عند "ابن جني" كانت معظمها عند "إبراهيم أنيس" إلا أن هذا الأخير لم يتطرق إلى بعض الأصوات كالهزمة، الألف، القاف، الطاء.

ونجد أيضا اتفاق حول الأصوات المهموسة إلا أن "إبراهيم أنيس" كانت لديه بعض الصفات لم تكن عند "ابن جني" وهي: الثاء والفاء والقاف والطاء والطاء والجيم.

لم يختلف المحدثون في تصنيفهم للأصوات المجهورة والمهموسة مع القدماء إلا في أصوات ثلاثة وهي: الطاء والقاف والهزمة، وبوصفها بالجر وهو لا يتوافق مع نطقنا الحالي لهذين الصوتين، وكذلك الهزمة التي تتميز بوضع خاص حال النطق بها، وتفسير هذا الاختلاف أن الطاء المجهورة عند القدماء هي التي

¹ إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، المرجع السابق، ص26.

قال عنها "سيبويه": لولا الإطباق لصارت الطاء دال. وكان الاختلاف أقل بكثير من الاتفاق أما الأصوات الشديدة فكانت نفس الأصوات عند كل من "ابن جني" و"إبراهيم أنيس" إلا في حرف واحد وهو الهمزة ذكرها "ابن جني" واستغنى عنها "إبراهيم أنيس" وعوضها بحرف الضاد.

وكذلك عند النظر في الأصوات الرخوة نجد أن كل منهما لديه نفس الأصوات إلا أن "إبراهيم أنيس" زاد عن "ابن جني" صوتين وهما الزاي والغين، أما بالنسبة للأصوات المتوسطة كما أطلق عليها القدامى لأنها ليست أصواتا شديدة ولا رخوة، فقد كانت نفس الأصوات عند "إبراهيم أنيس" إلا في ثلاثة حروف: الألف والعين والياء. ولقد أثبت "إبراهيم أنيس" أن هذه الأصوات (اللام والميم والنون والراء) ليست من الانفجارية ولا الاحتكاكية¹.

وعموما يمكن تلخيص نقاط الاتفاق والاختلاف بينهما في الجدول التالي²:

"إبراهيم أنيس"	"ابن جني"
نقاط اختلاف	نقاط اتفاق
<ul style="list-style-type: none"> - تصنيف الأصوات الفرعية إذ عدها "ابن جني" ستة أصوات وعند "إبراهيم أنيس" ثمانية أصوات - مصطلحات الأصوات المتمثلة في الحركات وأصوات اللين - التفريق بين الحركات وحروف المدهل هي متولدة من بعضها أم لا 	<ul style="list-style-type: none"> - مخارج أصوات اللين وصفاتها - أنصاف أصوات اللين المتمثلة في الياء والواو - كمية الصوت وطوله

¹ خليل إبراهيم عطية، المرجع السابق، ص 41.

² لطيفة طوايلية، المرجع السابق، ص 85.

خاتمة

وفي ختام بحثنا هذا نقول أن كلا من "ابن جني" و"إبراهيم أنيس" قد في بعض الأمور كاختلافهما مثلا في مصطلح المهتوت فهو موجود عند "ابن جني" ولا يوجد عند "إبراهيم أنيس"، وأيضا اعتمد الأول مصطلح الانخفاض ومصطلح صفة المتوسطة والتي نجدها عند "إبراهيم أنيس" تحت مصطلح المائعة. إلا أنهما يتفقان في بعض النقاط وبعض الأصوات، فمثلا: كلاهما يتفق في أن الأصوات (الزاي، الصاد، السين) يضمها مخرج واحد، إلا أنهما اختلفا في التسمية فابن جني أطلق على مخرجها (مما بين الثنايا وطرف اللسان) أما "إبراهيم أنيس" سماها (الأسلية وهي مخرج أسلة اللسان)، ولذلك نجد هناك دائما اختلاف بين هذين العالمين سواء من طرف الترتيب أو الاصطلاح حتى لو اتفقا في بعض الأصوات أو المخارج.

ومن أهم النتائج التي توصلنا إليها في بحثنا هذا نوجزها في النقاط التالية:

- أن "ابن جني" قد فرق بين الحرف والصوت لكن ليس كتفريق "إبراهيم أنيس"، الذي كان من المحدثين إلا أنه في أغلب دراساته استعمل المصطلحين لمفهوم واحد.

- يقظة "ابن جني" ورؤيته جعلته ينتبه لفكرة الفونيم، ولكن لم يطلق عليها مصطلح الفونيم لأنه مصطلح حديث، بل اهتم بها من ناحية المعنى فقط، إذ أنه أدرك أهمية الفونيمات في تحديد المفهوم الدلالي ومعاني المصطلحات، كما أنه أكد على أن تغيير الفونيمات يؤدي إلى تغيير المعاني. وفي هذا المقام فإن "إبراهيم أنيس" لم يهمل هذا الجانب في دراسته فقد خصص له كتابا سماه "دلالة الألفاظ" عالج فيه دلالة اللفظ بالمعنى.

- يعد "إبراهيم أنيس" أوائل المحدثين الذين توصلوا الى نتائج علماء أصوات العرب المحدثين في علم الأصوات.

وفي الأخير نوصي ونؤكد على ضرورة العودة والعمل على التراث اللغوي العربي، ومحاولة تسليط الضوء على قضايا ونتائج توصل إليها القدماء أسست لكثير من الدراسات الحديثة. وعلى كل طالب علم خاصة في مجال الأصوات أن يكون "إبراهيم أنيس" وأمثاله قدوة في دراساته وأبحاثه.

وفي الأخير لا ننسى الحمد والشكر لله عز وجل أولاً، والشكر والامتنان للأستاذة المشرفة ثانياً.

وبفضل من الله ونعمة منه، وبحمده سبحانه وتعالى ورحمته استطعنا أن نضع القطرات الأخيرة بعد رحلة طويلة تتمحور ما بين التفكير والعقل في

موضوعنا هذا، رحلة ترتقي بدرجات العقل والإدراك والفهم، وما هذا سوى جهد قليل لا ندعي من خلاله الكمال، ولكننا بذلنا فيه قصارى جهدنا ليكون في مستوى يتوافق مع أهدافنا المرجوة، فإذا أصبنا وهذا مرادنا فما هو إلا توفيق من عند الله عزّ وجلّ، وإذا أخفقنا فأقلّه أننا قد مُنحنا شرف المحاولة.

المصادر والمراجع

قائمة المراجع

القرآن الكريم برواية حفص عن نافع.

أولا : المراجع باللغة العربية:

1- الكتب

1. إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط 04، 1971م.
2. إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، د ت.
3. إبراهيم عبود السمرائي، المصطلحات الصوتية بين القدماء والمحدثين، دار جرير للنشر والتوزيع، عمان، ط 01، 1432هـ-2011م.
4. ابن جني، الخصائص، تح: محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة و النشر، بيروت، د ت.
5. ابن جني، سر صناعة الإعراب، تحقيق: مصطفى السقا وأصحابه، البابي الحلبي، القاهرة، 1954م.
6. ابن سينا، أسباب حدوث الحروف، تحقيق: محمد حسان الطيان، دار الكتب العلمية، 2011م.
7. ابن يعيش، شرح المفصل، عالم الكتب، بيروت، مكتبة المتنبي، القاهرة، 1978م.
8. أحمد عمر مختار، دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، القاهرة، 1937م.
9. أحمد محمد عبد الراضي، الواو في العربية بين الصوت والدلالة، جامعة القاهرة، مصر، 1998م.
10. أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب مع دراسة لقضية التأثير والتأثر، دار النشر عالم الكتب، القاهرة، ط 06، 1988م.
11. أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، القاهرة، د ت.
12. أشار "عبد الصبور شاهين" إلى أن هذين الصوتين لهما وصفان يدلان على صوت واحد. التطور اللغوي، مكتبة دار العلوم، ط 01، القاهرة، 1975م.
13. برجشتراسر، التطور النحوي للغة العربية، تح: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 04، 1423هـ-2003م.

14. خليل إبراهيم عطية، في البحث الصوتي عند العرب، منشورات دار الجاحظ، بغداد، دت، 1983م.
15. الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، تحقيق: المخزومي وإبراهيم السامرائي، مكتبة الهلال، بغداد، 1988م.
16. الداني، المحكم في نقط المصحف، تح: حسن عزة دمشق، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ط 02، 1418هـ-1997م.
17. ريمون طحان، فنون التقييد وعلوم الألسنية، دار الكتب، لبنان، ط 01، 1983م.
18. سلمان بن سالم بن رجاء السخيمي، إبدال الحروف في اللهجات العربية، مكتبة الغرباء الأثرية المملكة السعودية، ط 01، 1995م.
19. سيبويه، الكتاب، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 03، 1408هـ-1988م.
20. سيبويه، الكتاب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط 03، 1988م.
21. صالح سليم عبد القادر الفاخري، الدلالة الصوتية في اللغة العربية، المؤسسة الثقافية الجامعية، الإسكندرية، مصر، 2007م.
22. عادل الفاخوري، علم الدلالة عند العرب، دار الطليعة، بيروت، ط 01، 1985م.
23. عبد الصبور شاهين، أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي أبو عمرو بن العلاء، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 01، 1987م.
24. عبد الغفار حامد هلال، علم اللغة بين القديم والحديث، مكتبة وهبة، ط 01، 2002م.
25. عبد الفتاح إبراهيم، مدخل الى الصوتيات، دار الجنوب لنشر، تونس، دت.
26. عبد القادر عبد الجليل، الأصوات اللغوية، دار الصفاء للنشر والتوزيع، الأردن، 2018م.
27. عبد المجيد مجاهد، علو اللسان العربي، الشركة العربية المتحدة، القاهرة، مصر، دط، 2010م.
28. عبده الراجحي، فقه اللغة في الكتب العربية، دار النهضة العربية، بيروت، ط 01، دت.

29. علي حسين مزيان، علم الأصوات بين القدماء والمحدثين، دار النشر شموع، ليبيا، ط 01، 2003.
30. عيسى واضح حميداني، في الصوتيات الفيزيولوجية والفيزائية دار الرواد، مكتبة المجمع العربي للنشر والتوزيع، تيارت، الجزائر، ط 01، 1435هـ-2014م.
31. غانم قدوري، المدخل في علم الأصوات العربية، منشورات المجمع العلمي، تكريت، 1423هـ-2002م.
32. القفاطين جمال الدين ابو حسن علي بن يوسف، إنباه الرواة على أنباه النحا، تح: محمد الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، 1406هـ-1986م.
33. كانتينيوي، دروس في علم الأصوات، ترجمة د. صالح القرماذي، نشر مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، تونس 1966م.
34. كمال الدين حازم، دراسة في علم الأصوات، مكتبة الأدب، القاهرة، ط 01، 1999م.
35. كمال بشر، التفكير اللغوي بين القديم والحديث، دار غريب، القاهرة، د ت.
36. محمد يزيد المبرد، المقتضب، تحقيق: محمد عبد الخالق عضمة، عالم الكتب، بيروت، د ت.
37. محمد حسين علي الصغير، الصوت اللغوي في القرآن الكريم، دار المؤرخ العربي، بيروت، د ت.
38. محمد علي الخولي، معجم علم الأصوات، مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ط 01، 1982م.
39. محمد مبارك، فقه اللغة وخصائص العربية، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د ت.
40. محي الدين رمضان، في الصوتيات العربية، مكتبة الرسالة الحديثة، عمان، دط، 1980م.
41. النيسابوري، ابو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم، المستدرک علی الصحیحین، تح: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 02، 1422هـ- 2002 م.
42. هشام خالدي، صناعة المصطلح الصوتي في اللسان العربي الحديث، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط 01، 2012م.

ثانيا : المجالات والدوريات:

1. اسحاق رحمانى، دراسة فيسيولوجية الأصوات عند ابن سينا من خلال كتابة "أسباب حدوث الحروف"، مجلة اللغة العربية وأدابها، جامعة الكوفة، كلية الآداب، ع10، 2010م.
2. عبد الفتاح المصري، الصوتيات عند ابن جنى في ضوء الدراسات اللغوية العربية المعاصرة، مجلة التراث العربي، اتحاد كتاب العرب، دمشق 1404هـ-1984م.
3. عليان بن محمد الحازمي، الأصوات العربية بين الخليل وسيبويه، بحوث كلية اللغة العربية، العدد 02، جامعة أم القرى، السعودية- 1404-1405هـ.

ثالثا: المذكرات والرسائل:

1. عمار إلياس البواصلة، الفكر اللغوي عند إبراهيم أنيس، رسالة ماجستير في اللغويات، قسم اللغة العربية، إشراف: يحيى عباينة، جامعة مؤتة، السعودية، 2003م.
2. محمد يحيى آدم، جهود إبراهيم أنيس الصوتية من خلال كتابة الأصوات اللغوية، رسالة ماجستير في اللغة العربية، إشراف: داود عبد القادر ايليغا، جامعة المدنية العالمية، ماليزيا، 2013م.

الفهرس

الصفحة	الموضوع
أ	مقدمة
05	الفصل الأول : الدرس الصوتي العربي.
07	المبحث الأول : نشأة الدرس الصوتي.
07	1. عند الهنود.
08	2. عند اليونان.
10	3. عند الرومان.
11	4. عند العرب.
14	المبحث الثاني : الدرس الصوتي عند العرب القدامى.
15	1. الخليل بن احمد الفراهيدي.
16	2. سيويه.
18	3. ابن سينا.
18	4. ابن جني.
20	المبحث الثالث : الدرس الصوتي عند العرب المحدثين.
20	1. كمال بشر
21	2. أحمد مختار عمر
22	3. محي الدين رمضان
25	4. سلمان العالي.
26	5. إبراهيم أنيس
28	الفصل الثاني : المباحث الصوتية عند "ابن جني" و"إبراهيم أنيس".
29	المبحث الأول : المباحث الصوتية عند "ابن جني".
29	1. طبيعة الصوت اللغوي.
30	2. الصوت والحرف.
31	3. الجهاز الصوتي.
32	4. الحروف العربية عند "ابن جني".
33	5. مخارج الحروف.
35	6. صفات الحروف.
39	7. الحركات عند "ابن جني".
40	8. التغيرات الصوتية.
42	9. فكرة المقطع عند "ابن جني".
44	10. النبر عند "ابن جني".
46	11. التنغيم عند "ابن جني".

47	12. المماثلة عند "ابن جني".
48	13. المخالفة عند "ابن جني".
49	14. القلب المكاني عند "ابن جني".
50	15. التوافق الحركي عند "ابن جني".
52	المبحث الثاني : المباحث الصوتية عند إبراهيم أنيس
52	1. ظاهرة الصوت.
53	2. الصوت الإنساني.
54	3. كيف بدأ الصوت اللغوي.
55	4. أهمية السمع في إدراك الصوت اللغوي.
57	5. أعضاء النطق.
58	6. مصطلحات الصفات.
64	7. مخارج الأصوات عند "إبراهيم أنيس".
69	المبحث الثالث: المقارنة بين المباحث الصوتية عند "ابن جني" و"إبراهيم أنيس".
70	1. مفهوم الصوت.
73	2. مخارج الأصوات.
77	3. صفات الأصوات.
81	خاتمه
84	المصادر والمراجع
89	الفهرس

ملخص:

إن المتتبع للدرس اللساني العربي الحديث يدرك بوضوح أن الصوتيات علم يحمل في طياته طابع الأصالة و المعاصرة، و تمثلت هذه الحداثة في كونه يعد مستوى هاما من مستويات التحليل اللساني، كما نجد للدرس الصوتي جذورا ضاربة في عمق التراث اللغوي العربي القديم، ولما كان الأمر كذلك فقد درسه علماء اللغة العربية الأوائل كالخليل وسيبويه و ابن جني وغيرهم، و كان هذا الأخير أول من ألف كتابا مستقلا في الأصوات هو (سر صناعة الإعراب) من حيث مخارجها وصفاتها ودراسة الحركات اللغوية والتغيرات الصوتية...، ولم يتوقف الدرس الصوتي عند هؤلاء فحسب بل واصل مسيرة البحث في هذا المجال العلمي في العصر الحديث نخبة من الباحثين أمثال "عبد الرحمن الحاج صالح" و "إبراهيم أنيس" وغيرهم، مواكبين المناهج اللسانية الغربية، و يعد "إبراهيم أنيس" واحدا من اللسانيين العرب الأوائل الذين خاضوا غمار الدرس الصوتي؛ إذ تطرق في كتابه (الأصوات اللغوية) إلى أعضاء النطق وصفات الأصوات ومخارجها، و قسمها إلى الأصوات الساكنة و الأصوات اللينة، و درس المقطع الصوتي و النبر والمماثلة و التطور التاريخي للأصوات... إلخ، و نجد أن "ابن جني" و "إبراهيم أنيس" اتفقا في العديد من المباحث ولم يكن الاختلاف بينهما جوهريا .

كلمات مفتاحية: الصوت اللغوي، القدماء، المحدثين، ابن جني، إبراهيم أنيس.

Abstract:

The follower of the modern Arabic linguistic lesson clearly realizes that phonetics science carries with it the character of originality and contemporary, and this modernity was represented in being an important level of linguistic analysis, as we find the audio lesson roots deep in the ancient Arabic linguistic heritage, and as this is the case, it was studied by early Arabic language scholars such as Khalil, Sibawayh, Ibn Djenni and others, and the latter was the first to write an independent book in sounds is (the secret of the syntax industry) from Where its exits and qualities and the study of linguistic movements and phonetic changes... The audio lesson did not stop at these only, but the march of research in this scientific field in the modern era was continued by a group of researchers such as " Abderrahmane Hadj-Salah" and "Ibrahim Anis" and others, Keeping pace with Western linguistic curricula, Ibrahim Anis is one of the first Arab linguists who went through the phonetic lesson, as he touched in his book (Linguistic Sounds) on the organs of pronunciation, the qualities of sounds and their exits, and divided them into consonant sounds and soft sounds, and studied the syllable, tone, similarity and the historical development of sounds... etc., and we find that "Ibn Djenni" and "Ibrahim Anis" agreed in many detectives and the difference between them was not fundamental.

Keywords:

Linguistic sound, the ancients, the moderns, Ibn Djenni, Ibrahim Anis.